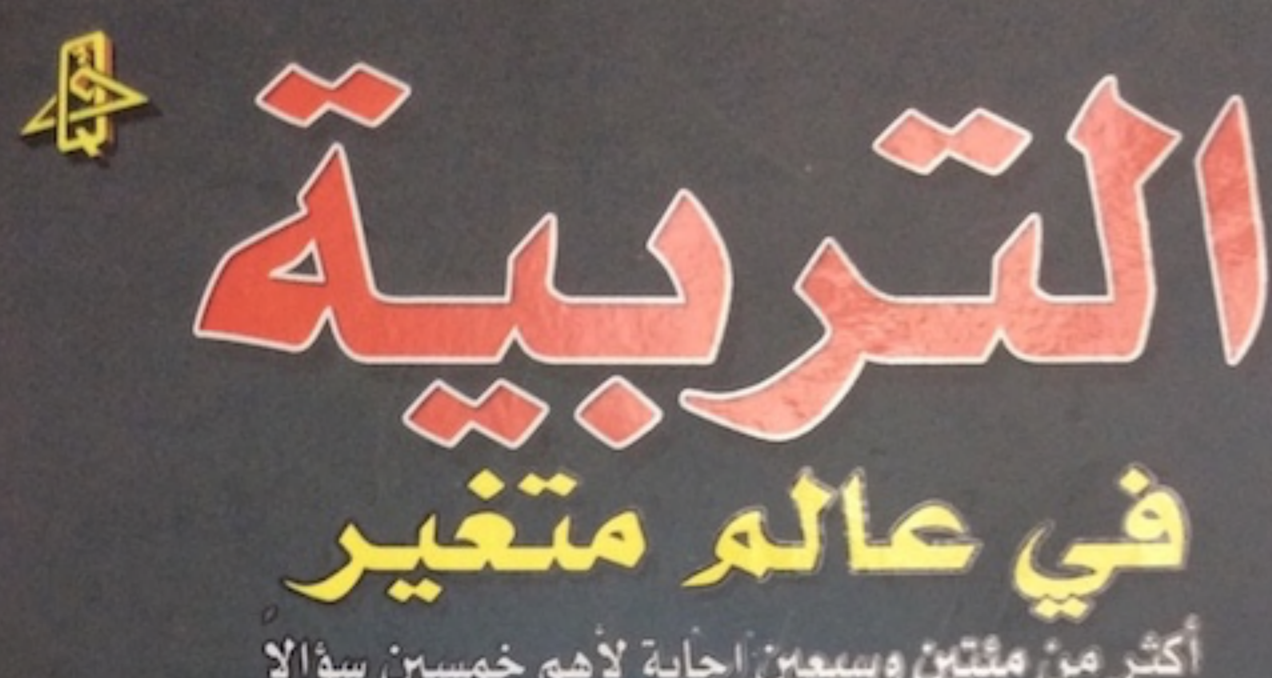


التربية

في عالم متغير

أكثر من مئتين وسبعين إجابة لأهم خمسين سؤالاً
يجيب عليها أساتذة وخبراء التربية في الوطن العربي

اشراف وتحرير:
د. عبدالمحسن بن أحمد العصيمي

23 كتاب × كتاب

المشاركون:

أ د. محمد حسن الحبشي
أ د. عبد الله ظافر الشهري
أ د. فاطمة الزهراء سالم مصطفى
أ د. السيد عبد المجيد عبد العال
أ د. شبل بدران الغريب
د. محمد عبدالله الشخيبي
أ د. اميل فهمي حنا شنودة

أ د. محمد علي العبد
أ د. احمد فاروق محفوظ
د. محمد عبدالله النذير
د. جومانة حامد عبده الشديفات
د. وائل وفيق عبدالعزيز رضوان
د. وسيمة عمر محمد زكي
أ د. فؤاد حامد الموافي الشورى
د. سحر الشوربجي

أ د. محمود ابراهيم محمد الضبع
د. محمد حسن أحمد جمعة
ا د. جمال علي خليل الدهشان
أ د. صحرواتي مقلاتي
د. حجاج غانم أحمد علي
د. كريم منصور محمد عسران
د. ماجدة ابراهيم الجارودي
د. مرزوق بتة

سلسلة عالم متغير - الجزء الثاني

محاور الأسئلة التي شارك بها د/ محمود الضبع

رقم	محور السؤال*
3	يلاحظ بأن العالم يتغير وأنه في بعض جوانبه سريع التغير، وأن التربية تواجه ضغوطًا كبيرة في مواكبة هذا التغير.
4	يرى البعض أن تربية النشء في أزمة وأن مسؤوليتها ضاعت بين البيت والمدرسة والمؤسسات الأخرى.
5	الانفتاح الإعلامي والاتصالي عبر الشبكات ووسائط التواصل الاجتماعي بأنواعه المختلفة عقّد العملية التربوية وأضعف من دور المدرسة كموجه رئيسي في تعليم وتثقيف الأبناء.
9	يرى بعض الخبراء أن البيئة التربوية العربية بكل أبعادها تحد من الإبداع والابتكار والتجديد وبناء عقول فاعلة تستطيع أن تواجه المستقبل وتحدياته.
14	تمثل مصادر القيم وأولوياتها أحد مرتكزات التحدي الاجتماعي والحضاري لمجتمعاتنا، ويدور حول ذلك الكثير من الخلاف والجدل.
17	مع انتشار وسائط التعليم التقنية ووسائط التفاعل الاجتماعي والحراك المعرفي العالمي وأدوات ووسائل العالم الافتراضي تغيرت أشياء كثيرة في الحياة والتعليم، وأن الأبناء أصبح اهتماماتهم وسلوكياتهم منفصلة عن الواقع التقليدي للمجتمع.
18	يتحدث الخبراء اليوم عن مجتمع المعرفة، ودوره في التقدم ويربطه البعض بالحريات أو بالإمكانيات الاقتصادية أو بالإرادة السياسية، أو بالنظم التعليمية بصفتك أحد خبراء التربية.
19	يتزايد أثر العولمة وتأثيرها على حياتنا، ويرى العديد من الخبراء أن العولمة بمفهومها الواسع وما تحمله من مفاهيم لتحرير الاقتصاد والمجتمع لازالت في مراحلها الأولى، وأنها مع تناميها تساهم في تدمير دور العديد من المبادئ التربوية والاجتماعية وتجعل الإنسان ذو بعد مادي فقط.
26	يدرس الطلبة في الكليات التربوية مقررات عن التربية وعلم النفس وطرق التدريس والمناهج.
32	هناك اتجاه واضح بين خبراء التعليم يرى أن أهم أسباب مشكلات تعليمنا مؤداه أن أساليبنا التعليمية تعتمد على الحفظ والتلقين وليس على تنمية المهارات، وأن هناك اهتمامًا بالكم على حساب الكيف مع قلة الاهتمام بالجودة، لذا فالمستوى التعليمي للطلبة منخفض جدًا.
38	أصبح الإنترنت ووسائطه وتقنيات التواصل المرتبطة به أحد مصادر التعليم والثقافة والترفيه، سواء بالتواصل أو كمصدر للمعلومات بين الطلبة مع بعضهم أو مع الأساتذة.
48	زاد الاهتمام مؤخرًا بالتدريب ودوره في تطوير مهارات القطاعات التعليمية.

* يمكن الإطلاع على السؤال كاملًا في داخل المشاركة.

مشروع عالم متغير (2)

التربية في عالم متغير

د. محمود الضبع

1. يلاحظ بأن العالم يتغير وأنه في بعض جوانبه سريع التغير، وأن التربية تواجه ضغوطا كبيرة في مواكبة هذا التغير:

- إلى أي مدى تواكب التربية كمؤسسة تحدد نظم التعليم والخطط للمستقبل التعليمي لمعالجة هذا التغير على كافة المستويات؟
- وما هي جوانب القصور في حياتنا التي تؤدي الى فجوة بين واقعنا وما نريد لكي نتماشى مع احداث التغيير المختلفة؟
- ما هي الدول التي تراها أكثر كفاءة تعليمية ومواكبة للتغيير، ويمكن الاستفادة منها وما هي أفضل الطرق للاستفادة في ذلك؟

تواجه التربية تحديات عديدة بفعل التغير المطرد في الحياة وأشكالها ونظم التعامل الطارئة عليها، وتحاول المؤسسات التربوية مواكبة هذا التحول بشتى الطرق، غير أنه ما تزال الهوة بين التربية والتغير كبيرة نسبيا، فعند قياس مخرجات التعلم لدى أي متعلم والفصل فيها بين ما حصل عليه من مؤسسات التعليم وما حصل عليه من وسائل الإعلام والتكنولوجيا والتفاعل مع الحياة العامة فإن نسبة ما تسهم به المؤسسات التربوية يتضاءل أمام نسبة ما تم استقاؤه من هذه المصادر، لذا عمدت بعض الدول في مناهجها إلى دمج مكون التكنولوجيا فيما أطلق عليه مهارات الميديا Media literacy، أي توفر الحد الأدنى والأساسي من اكتساب مهارات التعامل مع التطور الحضاري المعاصر وآلياته ووسائله بما يسمح بامتلاك القدرة على التواصل مع المجتمع العالمي.

وفي واقعنا العربي لم تزل الهوة متسعة بين ما تقدمه التربية للطلاب وبين التغير المتسارع في العالم المتطور على الدوام، ويعود ذلك لجوانب عدة تمثل أوجه القصور، منها:

- فلسفة التربية في واقعنا العربي، والتي تكون عادة مرتبطة بالواقع السياسي وأسلوب الحكم في الدولة، وهو ما يحد من رؤيتها من جهة، ويفصلها عن سياقات عالمية من جهة أخرى (وذلك على الرغم من الخطابات الرنانة التي تعلن نظريا اهتمامها بمواكبة المستقبل، غير أنها تطبيقيا تولي نظرها إلى الماضي أكثر من نظرتها المستقبلية)، إضافة إلى عدم تجديد وتحديد هذه الفلسفة كل مرحلة زمنية بما يؤدي

لإحداث التوازن بين متطلبات الهوية الثقافية وبين معطيات وتحولات الحاضر والمستقبل.

- غياب الوثائق الدقيقة والواضحة التي تمثل المعيارية التي يمكن الاحتكام إليها والسير في طريقها لتحقيق أهداف التربية، مثل وثائق المنهج التي يكون من شروطها: تحديد الرؤية المستقبلية، والنظام التعليمي المؤسسي، والمدخل الذي سيتم اعتماده (أهداف – كفايات – معايير)، وغيرها [1].
- المناهج التعليمية[2]، التي تعتمد في تصميمها وبنائها على الكم المعرفي المتعلق بفرع التخصص دون الاهتمام الكافي بتنمية المهارات التي تعد هي البنية الأساسية لمواكبة الحياة بتغيراتها السريعة والمتلاحقة، والمجال الأوسع لتحقيق المواكبة لما يدور في العالم من تطورات تتعلق بحياة الإنسان ذاته.
- مصادر التعلم التي لم تزل تعتمد على الكتاب المدرسي بوصفه الوسيلة الأساسية للتعلم واكتساب المعارف والمهارات والقيم، وذلك على الرغم من المحاولات الجادة لتنويع مصادر التعلم، مثل اعتماد بعض الدول على التعلم الإلكتروني، غير أنه لم يزل بعد في طور التجريب، ولم يزل الاعتماد على الكتاب المدرسي هو الأساس الأول والأخير.
- أساليب التدريس، والتي تدور في معظم بلدان الوطن العربي حول أساليب المحاضرة والمناقشة والحوار، ولا تستطيع اعتماد الاستراتيجيات المعاصرة من تعلم نشط وتعلم ذاتي وتعلم أقران وتعلم تعاوني وخلافه، وإن كان فإنه يتم على نحو جزئي بوصفه مدخل أو مقدمة للتدريس وليس جوهرا يتم اعتماده بطرائقه المتنوعة والمتعددة كما أقرتها الدراسات والبحوث والنظريات التربوية الحديثة.
- نظم وأنماط الإدارة التعليمية بين النظرية والتطبيق، فمعظم العاملين في الإدارة التربوية ينتمون لتخصصات علمية (معلم – أستاذ جامعي) أي أنه لم يكن متخصصا

---

[1] - ينظر: محمود الضبع: المناهج التعليمية صناعتها وتقويمها – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – 2006م – ص 22 وما بعدها.

[2] - للاستزادة حول المناهج التعليمية وأساليب صياغاتها وطرائقها وقضاياها، يمكن العودة إلى المرجع السابق- ص 57: 101.

في الإدارة، ولكنه اكتسب مهاراتها عبر مسيرة عمله، وهي قضية تحتاج لإعادة نظر بأن يكون هناك تخصص منفصل يسمى الإدارة المدرسية، يتم تأهيل الأفراد عليه منذ مراحل التعليم الجامعي، وتكون صلتهم وثيقة بين الإدارة بوصفها علما، وبين نظرياتها ومستجداتها، وإمكانات ابتكار نظم جديدة فيها.

- قلة وجود البرامج التعليمية الإثرائية[3] التي تقارب بين التعليم من جهة وبين مستجدات العصر وبخاصة فيما يتعلق بالتطور التكنولوجي، فما تزال كثير من المؤسسات التعليمية تعتمد على الكتاب المدرسي أو الجامعي بوصفه الوسيلة الأولى والرئيسة للتعلم، وإذا تجاوزت هذه الرؤية فإنها تحول معلومات ومحتويات الكتاب المدرسي إلى شكل إلكتروني، لكنه يظل في نهاية الأمر يفتقد إلى القدرة على مضاهاة ما تحدثه التطبيقات التكنولوجية من تأثير في المتلقي وإقباله عليها وتفاعله معها.
- عمليات التقييم والتقويم، التي تقيس الجوانب المعرفية دون قياس الجوانب المهارية مما يختزل مفهوم التعليم والتعلم في اكتساب المعارف وقياس مدى تحققها، دون قياس مدى تحق واكتساب المهارات وهي المجال الأوسع لمواكبة التغير المحيط بنا في العالم، إضافة إلى توقف عمليات التقييم عند عمليتي القياس والتقييم، وعدم تجاوزها إلى عمليات التقويم، وهي الأهم لأنها العملية المستمرة التي بموجبها يتضح ما إذا كان الأمر يتطلب العودة إلى القياس والتقييم من جديد، أم الإنتقال إلى ما هو تالي.

أما عن الدول الأكثر كفاءة تعليمية ومواكبة للتغيير، فليست هناك دولة عربية متميزة في كافة الجوانب إجمالا، ولكن هناك دول متميزة في جوانب دون الأخرى، فعلى سبيل المثال يمثل أسلوب الإدارة في دولة الإمارات العربية المتحدة نموذجا متطورا يمكن الأخذ به، كذلك الأمر في برنامج مدارس المجتمع في مصر والذي تشرف عليه اليونيسيف، وهي

[3] - يمكن العودة إلى: ستيفن بوكيت – أكثر من مائة فكرة لتدريس مهارات التفكير – ترجمة زكريا القاضي – مراجعة حامد عمار – الدار المصرية اللبنانية – القاهرة – 2008م.

مدارس موجودة في محافظات سوهاج وأسيوط وقنا وتعمل في المناطق النائية فقط[4]، وتهتم بالمتسربين من التعليم والذين لم ينالوا حظهم من الالتحاق بمدارس التعليم الحكومي من الفتيات على وجه الخصوص، وقد استطاعت تحديث النمط الإداري فيها على نحو يمكن الاحتذاء به عالميا.

أما على المستوى الدولي فقد حدد التقرير الصادر عن منتدى دافوس[5] الاقتصادي في العام 2009م، حدد مستويات الدول في القضايا الأربعة الرئيسة المتعلقة بالتعليم، وهي: الشفافية في صنع السياسات الحكومية – جودة التعليم الأساسي – جودة النظام التعليمي – جودة تعليم العلوم والرياضيات، وتبعا للتقرير فإن الإمارات العربية المتحدة تحتل المركز الأول في تحقيق الشفافية في صنع السياسات الحكومية المتعلقة بالتعليم وفي جودة التعليم الأساسي، وإن كان ترتيبها الدولي يأتي في المرتبة 17 في الأولى، وال39 في الثانية، في حين جاءت الأردن هي الأولى عربيا فيما يتعلق بجودة النظام التعليمي، وجودة تعليم العلوم والرياضيات، وإن كان ترتيبها الدولي 27 في الأولى، و37 في الثانية.

أما الدولة التي تأتي في المرتبة الأولى عالميا في العناصر الأربعة مجتمعة، في سنغافورة، وذلك على الرغم من ضعف ميزانيتها المالية التي تنفقها على التعليم.

2. يرى البعض أن تربية النشء في أزمة وأن مسؤوليتها ضاعت بين البيت والمدرسة والمؤسسات الأخرى:

- كيف ترى هذا الرأي؟ وإلى أي مدى توافق عليه؟ وما اوجه ذلك؟
- ما الحلول التي تراها ضرورية لتجاوز أزمة تربية الأبناء في مجتمعاتنا؟
- كيف ترى المستقبل في هذا التجاذب والتداخل بين المؤسسات ذات العلاقة بالتربية؟ وكيف سيؤثر ذلك على مستقبل ابنائنا؟

---

[4] - يمكن العودة إلى: ملك زعلوك – التعليم من أجل التمكين، مدارس المجتمع نموذج لحركة اجتماعية في مصر – دار إلياس – القاهرة – 2007م.

[5] - The Global Competitiveness Report 2008–2009- World Economic Forum - Geneva, Switzerland 2008.

تواجه تربية النشء أزمة حقيقية في واقعنا العربي فالأسرة إما أنها منشغلة عن أبنائها لاوقت لديها للقيام بدورها كما كان في الماضي، أو أنها تفتقر للقدرة على التواصل مع النشء لاختلاف مهارات ومنطلقات هذا النشء بفعل التطور الحضاري والميديا ووسائل الإعلام التي تحتل مساحة غير قليلة من اهتمام هذا النشء منذ نعومة أظافره.

من هذا المنطلق سنسلم أن للأطفال معارفهم ومعلوماتهم، وهي دوما ستحتاج إلى تنمية وتنسيق، لكي تصبح جزءا من خبراتهم الباقية التي تتحرك دوما إلى الأمام، وجزءا من ثقافتهم المستقبلية سواء على مستوى السلوك أم على مستوى النتاج.

كل طفل موهوب، وتلك حقيقة تؤكدها دراسات وأبحاث عديدة تنتمي إلى حقول معرفية متنوعة، وبخاصة علم النفس، وأبحاث المخ، فكل طفل هو طفل موهوب، يمتلك بداخله كافة أنواع المواهب والقدرات العقلية، والدلائل على ذلك كثيرة:

- في مرحلة السنوات الأولى يمارس الأطفال كل الهوايات ويمتلكون كل المواهب المتاحة، فيرسمون ويلونون ويغنون ويتراقصون، ويفعلون كل شيء، ولكن إذا أتيحت لهم فرصة الرعاية السليمة لمهارة أو موهبة ما فإنهم يستمرون فيها، أما إذا لم يتنبه الآباء، ولم يساعد المجتمع المحيط فإنهم يتراجعون إلى الوراء، وتخمد شعلة النشاط لديهم.
- يمتلك كل الأطفال بلا استثناء في مراحل الطفولة الأولى خيالا واسعا يسمح لهم بأن يحكوا حكايات، ويقصوا روايات محبوكة فنيا، وإن كانت بعض أحداثها غير منطقية بمنطقنا الواقعي، ولكنها لاحدود للخيال فيها، وهو أمر عائد إلى الخيال الخصب والقدرات العقلية غير المحدودة التي يتمتعون بها، وقدرتهم أو طبيعتهم على اجتياز الحواجز والعوائق الفكرية، ومن ثم إمكاناتهم العليا في التوصل إلى حلول غير متوقعة لمشكلات ومسائل قد يرى الكبار فيها استحالة التوصل إلى حلول.
- يتمتع كل الأطفال بنشاط زائد وحركة مستمرة، والذي غالبا ما يشكو منه الآباء والقائمون على أمر تربية الأطفال، وهو ما فسرته أبحاث المخ بأنه نشاط زائد في خلايا المخ المختصة بالجهاز الحركي، وطاقة مكبوتة، ونوع من أنواع الذكاء الحركي، الذي إذا تم استثماره على نحو سليم أمكن صناعة الأفراد تبعا للحاجة، ولصالح تنمية المواهب الحركية العليا، مثل الأبطال الرياضيين والرسامين

وغيرهم، ولايخلو طفل من قدرة على امتلاك واحد أو أكثر من هذه المواهب، وميله الشديد نحو القيام بحركات مستمرة في هذا النشاط.

- يمتلك الأطفال دافعية قوية لعمل ما يحبون، فقد يستغرق أحدهم في محادثة لعبه ساعات طوال من دون أن يشعر بالجوع أو العطش، فكيف سيكون حال هؤلاء الأطفال لو تم توجيههم التوجيه السليم نحو العمل على تنمية مواهبهم من خلال الكتابة الموجهة والأدب الموجه والألعاب الموجهة، وغيرها من الوسائط التي تستغل الدافعية القوية للأطفال في تمرير المفاهيم والقيم.

فهل يمكن والحالة تلك أن يكون أحد منطلقات التنشئة السليمة للأطفال وتنمية مواهبهم، هو الاعتماد على الأدب بأنواعه المختلفة [6] ؟ هل يمكن بناء نمط ثقافي معرفي من خلال اختيار الآداب العربية الأصيلة سواء من التراث أو الكتابة المعاصرة من أجل تدعيم القيم الثقافية والروحية العربية؟

إن واقع ومستقبل الشخصية العربية يحتم عليها زيادة الاهتمام بكل ما يدعم بناء شخصية الطفل العربي، انطلاقا من محاولات مواجهة الموجة العالمية الحالية للغزو الثقافي، والعولمة الثقافية، والتحول العالمي في المفاهيم.

في حقيقة الأمر فإن الجهاز العقلي للأطفال يعمل منذ ولادتهم، فيفكرون ويشعرون بالجوع والخوف والأمان، ومع الدخول في سياق تعلم اللغة وامتلاك معجم لغوي على نحوما فإن جهازهم العقلي يكون قد وصل إلى مرحلة من الاكتمال التي تسمح لهم بأن يفكروا على نحو أعلى مما يمتلك الكبار، وبخاصة أن تفكيرهم في هذه المرحلة يخلو من القيود على عكس الكبار، الذين يخضع تفكيرهم لقيود المنطق والأعراف والتقاليد والانتماء الديني والعرقي، وغيرها من العوامل التي يتحرر تفكير الأطفال منها تماما، مما يجعل عقولهم لاحدود لما يمكن أن تتوصل إليه.

---

[6] ـ ليس المقصود هنا هو الأدب في صورته المكتوبة فقط، وإنما سيضاف إليه بالطبع كافة الوسائط التي يمكن أن يتلقى الطفل عن طريقها الأدب، من قراءة، واستماع، ومشاهدة مرئية عبر شاشات التليفزيون والكمبيوتر، وغيرها من الوسائط المطروحة، أو التي يمكن أن يطرحها المستقبل، ولكن هذه الوسائط على اختلافها ستخضع جميعها للنص المكتوب في شكل أدب سواء أكان قصة أم مسرحية أم أغنية.... للمزيد من التفاصيل، يمكن العودة إلى: محمود الضبع: أدب الأطفال بين التراث والمعلوماتية – الدار المصرية اللبنانية – القاهرة – 2009م.

وتعد السنوات الخمس الأولى من أعلى المراحل السنية التي يبلغ فيها الأطفال حدا من الذكاء والعبقرية لامثيل له في حياة الإنسان، ولكنه يبدأ في التناقص بعد السنوات الخمس الأولى إذا لم يجد الرعاية الواعية المدركة لما تفعله معهم.

ولعل العوامل التي تؤدي لانحراف معدلات وأنواع الذكاءات في مرحلة ما قبل التعليم، أو تعمل على تعطيله كثيرة، منها:

- عدم وعي الأسرة بأهمية وضرورة تنمية المهارات اللغوية، مما يعمل على تعطيل القدرات العقلية عندما لاتستطيع التواصل مع المواهب والذكاءات، فكل شيء يفكر فيه الإنسان لابد أن يترجم إلى لغة وإلا فقد الإنسان القدرة على التواصل معه، وهكذا الحال بالنسبة للأطفال، فعلى سبيل المثال لم يستطع طه حسين (الطفل الكفيف) أن يعرف معنى الكاكاو، لأنه لم يتعامل معه، ولم يره، ومن ثم لم يجد المعلم (العريف) مرادفا أو وسيلة يشرح بها لتلميذه، والأمر مع الكاكاو سهل، فما بالنا بالمفاهيم المجردة مثلا، أو القيم والاتجاهات، أو المهارات الداعمة للذكاءات والمواهب المختلفة.
- تدخل الآباء في الحجر على الأبناء فيما يقولون وما لايقولون دون مبرر منطقي، فمثلا يقبلون منهم مفردات وتراكيب وتعليقات في أوقات ما، ويبدون إعجابهم بها، وقد لايقبلون التعليقات ذاتها في أوقات أخرى قد تكون في حضرة أغراب مثلا، ومن ثم يعنفون الأطفال ويعاقبونهم، وبالطبع لايفهم الأطفال مثل هذه التصرفات من الكبار، ولكن نتائجها تكون سلبية عليهم، وقد تؤدي إلى فقد القدرة على الثقة في النفس، والوقوع في ارتباكات عديدة لاينتهي تأثيرها على المدى البعيد لتكون الشخصية.
- عدم الوعي بطبيعة الأطفال وسماتهم النفسية والحركية، ودوافعهم واتجاهاتهم، فمثلا يتميز الأطفال في سن ما قبل المدرسة، وبخاصة الموهوبين منهم (وكلهم موهوبون) بأنهم سريعو الملل، سريعو التعلق بالشيء، سريعو التنقل بين البدائل، وما ذلك إلا لأنهم يتعاملون مع الكون جميعه من حولهم بمنطق الاستكشاف، ومن ثم يتعلقون بالشيء بشدة، ويعرضون عنه بعدما يستكشفونه، ومن ثم يرى بعض علماء النفس أن سلوك الأطفال مثلا في تكسير اللعب ناتج عن هذه المحاولة من الاستكشاف.

- عدم استيعاب الأطفال عندما تكون أسئلتهم كثيرة – وهو الأمر الغالب – فقد يتضجر المحيطون وأفراد الأسرة من هذه الأسئلة ويعدونها نوعا من أنواع الجدال لافائدة منه، ومن ثم يعمدون إلى الحد منها بالتوبيخ أحيانا وبالتجاهل أحيانا، وبطلب الكف عن طرح الأسئلة أحيانا أخرى، وهذا في حد ذاته من الأمور البالغة الخطورة، فالسؤال بداية المعرفة، والفيلسوف الحقيقي والمفكر الحقيقي والمثقف الحقيقي، ما هو إلا مجموعة من الأسئلة، ويقضي الإنسان حياته في محاولة الإجابة عن الأسئلة التي يفكر فيها وتواجهه، بل إن الإنسان إذا توقف عن طرح الأسئلة على نفسه توقف عن التطور، وإذا كان هذا بالنسبة للكبار وبهذه الدرجة من الوضوح، فإنه مع الصغار كذلك، وإن كان بآليات مختلفة، وتكفي في هذا الصدد مقارنة بين طفل ترك له أهله حرية السؤال وتعاملوا معه باحترام لعقليته، وبين طفل آخر تم تجاهل أسئلته أو ردعه في طرح أسئلة، والفارق بينهما شاسع، أولهما: شخصية مستقرة متسقة مع ذاتها، وثانيهما: يمتلك من السلبيات قدرا قد يقل ويكثر تبعا لظروف تنشئته وحظه من إيجابياتها.
- عدم الاهتمام بإشباع العقل والروح والخيال بالفنون الأدبية المختلفة التي من أجل أهميتها يأتي هذا الكتاب إجمالا.

وهناك نصيحة شهيرة في هذا الصدد يطلقها علماء النفس ويؤكدون عليها، تقول: ينبغي أن نكف عن محاولاتنا جعل الأطفال يفكرون بعقولنا ويتصرفون بمنطق الكبار، بمعنى أننا يجب أن نتوقف عن التعامل مع الأطفال باعتبارهم كبارا، عليهم بالضرورة أن يلتزموا بالمنطق العقلي لنا نحن الكبار، ويفهمون معتقداتنا وتقاليدنا، ويلتزمون بها التزاما حرفيا ؛ ذلك أنهم في كثير من الأحيان لاتمتلك عقولهم القدرة على فهم ما يدور حولهم من تصرفات الكبار، وبخاصة أن الكبار أنفسهم ليسوا دائما على وعي بتصرفاتهم هم أنفسهم، بمعنى أن الإنسان قد يقوم بتصرفات، ثم يعود هو نفسه لاستنكارها ورفضها والتعجب من كيفية قيامه بها، ثم يعود ليتبناها أو ليتبنى نقيضها تبعا لتغير الحالات المزاجية وطبيعة الموقف، والبيئة المحيطة عموما.

3. الانفتاح الإعلامي والاتصالي عبر الشبكات ووسائط التواصل الاجتماعي بأنواعه المختلفة عقّد العلمية التربوية وأضعف من دور المدرسة كموجه رئيسي في تعليم وتثقيف الأبناء:

- إلى أي مدى يمكن أن نحمل المؤسسة التربوية سبب المشاكل التربوية والتخلف فيه؟
- كيف ترى أثر الإعلام –خاصة الاعلام الجديد- على تربية الابناء، وادوار المدرسة؟
- ما أفضل الحلول في نظرك للتعامل مع ذلك الانفتاح الإعلامي والاتصالي؟

ظهر مصطلح فجوات التعلم وضعف المتعلم مرتبطا بالتكنولوجيا والمعلوماتية والتحول إلى النظام الرقمي فيما سمي بالفجوة الرقميةDigital Devise، والتي تعني الهوة الفاصلة بين الدول المتقدمة والدول النامية في النفاذ الى مصادر المعلومات والمعرفة، والقدرة على استغلالها [7].

ويعد الإنترنت هو المحور الرئيسي للفجوة الرقمية، إذ لم يعد ينظر إليه بوصفه أداة رفاهية، وإنما أداة لزيادة الإنتاج والتطوير، ومصدرا رئيسا من مصادر صناعة وإنتاج المعلوماتية.

وتعد أحد المقاييس الرئيسة لقياس الفجوة الرقمية بين الدول المتقدمة والدول النامية من خلال عدد مستخدمي الإنترنت، وتشير إحصائيات الأمم المتحدة إلى أن الفجوة الرقمية تتجاوز الفجوة الاقتصادية مقاسة بالدخل القومي، حيث تمتلك الدول المتقدمة 86% من الناتج المحلي الكلي للعالم، ويبلغ عدد مستخدمي الإنترنت فيها 93% من إجمالي عدد المستخدمين في العالم. في حين لا تزيد نسبة انتشار استخدام الإنترنت في بعض الدول النامية ذات الدخل المنخفض عن 0,2% من عدد السكان.

وفي التعليم لا يختلف الأمر كثيرا، حيث تتزايد الفجوات بين التعليم ونظمه ونواتجه بين الدول النامية والدول المتقدمة، مما يؤثر على نواتج تعلم الدول النامية قياسا إلى الدول المتقدمة، وعلى مواصفات المتعلم المطلوب تحققها، حتى في أعلى درجات السلم التعليمي، فطالب الطب في أي تخصص على مستوى التعليم وعلى مستوى النواتج يختلف في الدول المتقدمة عنه في الدول النامية، مما يدفع الكثير من المؤسسات والهيئات إلى إعادة تأهيل

---

[7] - نبيل علي، ونادية حجازي: الفجوة الرقمية، رؤية عربية لمجتمع المعرفة - المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب - سلسلة عالم المعرفة- ع318 – الكويت – 2005م.

الخريج قبل قبوله للدراسة أو العمل فيها، نتيجة لوعيها بالفجوة التعليمية بين الخريج في هذه وتلك، وهذا مثال واحد من بين عشرات ومئات الأمثلة في التعليم بمفرده، ناهيا عن الصناعة والإنتاج والمعلوماتية وغيرها.

وفي التعليم والتعلم يمكن رصد أكثر من فجوة / فجوات في واقعنا العربي على وجه الخصوص، منها:

- الفجوة بين المتعلمين وغير المتعلمين.
- الفجوة بين من يعرفون ومن لايعرفون.
- الفجوة بين المتميزين دراسيا (المتفوقين – الموهوبين) والمتأخرين دراسيا.
- الفجوة بين من يستطيعون تحقيق المستوى التحصيلي المطلوب في التعليم (العاديين في التعلم) وبين الضعاف تعليميا .
- الفجوة بين من يمتلكون مهارات الميديا Media literacy، ومن لايمتلكون هذه المهارات، أي الاستجابة لمتطلبات العصر خاصة المتعلق منها بالتعامل مع وسائل الإعلام والتكنولوجيا والكمبيوتر والمعلوماتية.

الحل:

إن تقليص الهوة بين الفجوات يتطلب تسهيل انتشار تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والمهارات الخاصة بها بسرعة كبيرة على مستوى المناهج والمواد التعليمية، وعلى مستوى تنفيذها وتطبيقها، وهو ما يتطلب حصول الأفراد على أدوات عصر المعلومات وإعداد معلمي الغد لاستخدام هذه التكنولجيا.

كما أن أحد الحلول المهم التنبه لها هو ضرورة الاهتمام بتعليم وتعلم القراءة، وتعليم وتعلم مهارات اللغة العربية بعامة، لأنها المدخل للتعليم والتعلم، والمهارة الأساسية الأولى التي إن افتقدها المتعلم افتقد القدرة على التعلم كلية، وهي اللغة التي سيتمكن من العمل لصالحها سواء بالمساهمة في إنتاج معلوماتية باللغة العربية، أو نقل المعلوماتية من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية، وكلا الأمرين مهم، وإن كان أولهما طريق بعيد إلا أنه يعد جوهر تشكل الهوية العربية وملامحها الفارقة في إطار هيمنة التكنولوجيا والمعلوماتية ومجتمع المعرفة بكافة أبعاده.

4. يرى بعض الخبراء أن البيئة التربوية العربية بكل أبعادها تحد من الابداع والابتكار والتجديد وبناء عقول فاعلة تستطيع أن تواجه المستقبل وتحدياته:

- إلى أي مدى توافق أو تعارض هذا الرأي؟
- كيف ترى المجالات التي نحن بها أكثر تأخرا؟ وسبب ذلك؟
- ما هي المجالات التي ترى أن وضعنا جيد بها؟
- هل هناك طرق مثلى لتطوير الإبداع والابتكار في عالمنا العربي في البيئة التربوية؟

تعد البيئة التربوية العربية إحدى الروافد المسؤولة عن الحد من مهارات التفكير الإبداعي والابتكاري للمتعلمين، إذ إن الهدف الأكبر من التعليم – واقعيا – هو إكساب المعارف والمعلومات، ومن ثم يتراجع الدور الأساسي الذي ينبغي على التعليم أن يضعه في المقدمة وهو تعليم كيفية التفكير وطرائقه، وهو ما يمكن أن يتحقق بالفعل من خلال تبني الدعوة إلى جعل التعليم والتعلم يتمركز حول المتعلم، وألا يكون الكتاب المدرسى هو المصدر الوحيد للتعليم والتعلم، وإنما تتجاور معه وتصاحبه مواد تعليمية متنوعة نمطية (المطبوعات الورقية)، وغير نمطية ؛ تراعي الفروق الفردية، وتثري المنهج وأنشطته التربوية بشكل عام.

ويمكن تعريف المواد التعليمية غير النمطية على أنها مواد تعليمية تعلمية متنوعة تحقق أهدافا تعليمية من خلال أشكال تختلف عن الكتاب المدرسي أو الوثائق الورقية والنمطية في التعليم والتعلم، وإن كانت لاتلغي هذه الوسائل التقليدية، وإنما تعضد أهدافها، وتعالج مواطن قصورها، وتثري بيئتها.

وقد ظهرت الحاجة إلى المواد التعليمية غير النمطية نتيجة لعدة عوامل ومقتضيات فرضتها التطورات المعاصرة للحياة، منها:

- نظرية الذكاءات المتعددة وإنجازات جاردنر وأرمسترونج في ربطها بالتعليم والتعلم.
- تطور الأبحاث في مجال المخ.
- تفريد التعليم ومقتضياته التربوية.

مما تطلب الأمر معه الانتقال بالعمليات التعليمية من التعليم الذي يركز على المعلم ودوره في توصيل المعرفة، إلى التعلم الذي يركز على البحث عن استراتيجيات تدريس متطورة تتمركز حول المتعلم، وتنطلق منه لإكسابه الخبرات والمهارات والمعارف المطلوبة وتنمي فيه الشعور بالمسؤولية، والقدرة على التصرف في المواقف المختلفة، وتكوين شخصية متكاملة بعامة.

- **نظرية الذكاءات المتعددة.**

كان لنظرية الذكاءات المتعددة دورها في هدم ما كان سائدا عن الذكاء العام الواحد IQ، والذي كان يحتسب تبعا للسن والنجاح في الاختبارات، وطرحت بديلا عنه الذكاءات المتعددة IntelligenMultip le، ورأت أن كل إنسان يمتلك واحدا منها أو أكثر، وهي:

- الذكاء اللغوي: ويرتبط بالقدرات اللفظية (البلاغة والفصاحة واللسن).
- الذكاء المنطقي الرياضي: الرياضيات العلمية.
- الذكاء المكاني (الفراغي): تصور المكان النسبي للأشياء في الفراغ.
- الذكاء الموسيقي.
- الذكاء الجسمي الحركي: القدرة على استخدام الجسم (الرياضيين والجراحين).
- الذكاء الشخصي الاجتماعي: القدرة على فهم الآخرين وكيفية التعاون معهم، وملاحظة الفروق بينهم، واكتشاف التناقض في طباعهم وكلامهم.
- الذكاء الشخصي الذاتي: ويرتبط بالقدرة على تشكيل نموذج صادق عن الذات والتعامل مع النفس وإدارتها، وتألق عاطفته وقدرته على التميز [8].
- الذكاء المرتبط بالخلق والوجود.

---

[8] - انظر في ذلك:

- Thomas Armstrong: Multiple intelligence in the classroom (A.S.C.D) publications Alexandria, Virginia 1991 p.1.
- السرور: مدخل إلى تربية المتميزين والموهوبين - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- عمَّان-1998.
- الوقفي: مقدمة في علم النفس- ط3 – دار الشروق للنشر والتوزيع - عمَّان- 1980.

- الذكاء المرتبط بالبيئة أو الذكاء الطبيعي [9].

وفي ظل هذه التوجهات فإنه لابد من مراعاة أنماط التعلم تبعا لنمط الذكاء، ومن ثم تنظيم الخبرات التعليمية حول نمط ذكاء المتعلم، وهو ما يقتضي معه التنويع في مصادر تعلم وإثرائها، وتصميم برامج تعليمية غير نمطية، تتعدد أشكالها، وأنواعها تبعا لنمط أو أنماط الذكاء التي تعالجها.

- **تطور أبحاث المخ:**

في السنوات الأخيرة تطورت الأبحاث التي تعمل على تشريح المخ ومعرفة وظائفه وخصائص خلاياه، وظهرت في هذا الصدد مجالات معرفية جديدة مكنت الإنسان من تحقيق مكاسب علمية ما كان له أن يحققها، ومنها الذكاء الاصطناعي، بالاعتماد في ذكاء الآلة، على محاكاة الوظائف اللغوية للمخ، والهندسة الوراثية وعلاقتها بخلايا المخ، وتعليم وتعلم اللغات باكتشاف الخلايا المختصة في المخ، وغيرها من الأبحاث.

وقد كان للتربية نصيبها في الاستفادة من أبحاث المخ، ولعل أهم القضايا التي يمكن رصدها في هذا المجال:

- كيف تتم عمليات التفكير داخل المخ البشري، وبالتالي كيف يمكن تنمية التفكير وعملياته في المخ.
- كيف يحدث التعلم داخل المخ البشري.
- هل يمكن التحكم في تكوين نواتج التعلم ؟ بمعنى يقترب من معاني برمجة المخ البشري كما يمكن – على سبيل المثال – التحكم في تهيئة الكمبيوتر وبرمجته بما تحتاج إليه، وبخاصة في ظل الذكاء الاصطناعي والهندسة الوراثية ومقتضياتهما التربوية.

وقد كان لهذه الأبحاث وغيرها نتائجه التي تم تطبيقها على عمليات التعلم، كالتي تم الاستفادة منها في تحديد مسارات المخ والكشف عن كيفية تكون وحدوث التفكير داخل المخ البشري، ومن ثم أمكن الاستفادة في مجال تعليم وتعلم اللغات، وتعليم وتعلم الألعاب الحركية

---

[9]- Howard Gardner: intelligence reframed: multiple intelligences for the 21st century: Basic books, New York 1999, p.4.

المعقدة، وغيرها، وهو ما يقتضي تصميم مواد تعليمية غير نمطية تخاطب الاستجابات المتنوعة للمخ البشري في استقباله التعليم والتعلم.

- **تفريد التعليم**

وما يقتضيه من البحث عن استراتيجيات تعلم مختلفة تتمحور حول المتعلم، وتنطلق منه وإليه، وتراعي الفروق الفردية بين المتعلمين، ومن الاستراتيجيات التي يتبناها: التعلم الذاتي والتعلم النشط، والحقائب التعليمية، وخلافه[10].

وهذه العوامل مجتمعة (الذكاءات – أبحاث المخ- تفريد التعليم) تقتضي وجود مواد تعليمية غير نمطية، تتجاور مع كتاب الطالب أحيانا، وتحتل مكانه أحيانا أخرى، وتتبعه أحيانا، وتسبقه في أحايين أخرى.

وتتنوع المواد التعليمية غير النمطية لتشمل موادا مكتوبة وموادا مرئية وموادا مسموعة، إضافة إلى مواد للتعلم الفردى، وأخرى للتعلم التعاونى، ومن أنواع المواد التعليمية غير النمطية:

الكتب المصاحبة لكتاب المتعلم - الموديلات - الحقائب والرزم التعليمية - البرامج التليفزيونية المرئية - برامج الوسائط المتعددة (المالتيميديا) – التعلم الإلكتروني E-learning.

5. تمثل مصادر القيم وأولوياتها أحد مرتكزات التحدي الاجتماعي والحضاري لمجتمعاتنا، ويدور حول ذلك الكثير من الخلاف والجدل:

- كيف ترى أهمية القيم في النظام التربوي والتعليمي؟
- ما هي المصادر التي ترى أن نستقي منها منظومة القيم والأخلاق التي نعلمها للأبناء؟
- كيف ترى أفضل الطرق لصياغة هذه القيم في المقررات التعليمية؟
- كيف ترى جدلية دور المدرسية بين التعليم والتربية واوجه الجمع بينها؟ وما أدوار الاسرة في ذلك؟

---

[10] ـ يمكن العودة إلى: المناهج التعليمية صناعتها وتقويمها – مرجع سابق.

يمثل تدريس القيم والأخلاق في المؤسسات التربوية ضرورة لدواع عدة يقتضيها واقع الحياة المعاصرة والتحولات التي طرأت على البنى المجتمعية، ومنها:

- الأوضـــــاع الأســــــرية.
- المتغيــرات المجتمعيــــــة.
- الثورة الإعــلاميــــــــــة.
- دعــــــم المواطــنــــــة والوحـــدة الوطنيــــة.

إن العالم المعاصر يشهد تحولات جذرية غير مسبوقة، تدفعها وتحركها متغيرات أربعة كبرى، تتداخل معا ويفسر بعضها بعضا، انعكست آثارها على منظومتى: التعليم ومنظومة القيم، وسلوكيات الأفراد والاتجاهات وأساليب التفكير، ومناهج الحياة وعلاقات الإنتاج، وهذه التحولات هى:

1) الثورة العلمية والتكنولوجية:وهى ثورة ذات بنية معرفية من إنتاج، وإبداع العقل البشرى، قلصت الفاصل الزمنى بين الفكرة وتحقيقها الفعلى، وغيرت مفهوم الزمن.
2) ثورة المعلومات و الاتصالات.
3) التكتلات الاقتصادية العملاقة.
4) العولمة أو الكوكبية.

ورغم إيجابية هذه التحولات، إلا أنها أفرزت ثقافة جديدة، تهدد منظومة القيم الأخلاقية، ذلك أنها ثقافة مادية، تستهين بالقيم الروحية والأخلاقية، وتمجد الاستهلاك والفردية والأنانية، وتمهد العنف، ولا تقيم وزنا لهوية أو انتماء وتتبع سياسة "مكيافيللى الغاية تبرر الوسيلة ".

ومن المظاهر التي انتشرت في بعض المجتمعات، ما نلاحظه من سلوك العنف والتعصب أحيانا، والتفكك الأسرى، والفجوة بين الأجيال، وضعف الإحساس بالانتماء والولاء بين بعض الشباب، إحساس البعض بالاغتراب وبالتالى عدم المبالاة والأنانية، وافتقاد روح الجماعة والوحدة المشاركة وتحمل المسئولية. وعلى صعيد آخر قلّ الإحساس بالجمال والتذوق الفني، وزاد التلوث البصري والسمعي، وهذا ينعكس فيما نسمعه من بعض

الأغانى، وما نشاهده من أفلام ومسرحيات، وما يتردد على ألسنة الشباب من ألفاظ وعبارات.

ولما كان ذلك، اتجه العالم كله إلى التركيز على الجانب الوجدانى فى تربية النشء، وهو ما عبر عنه "أريك بلوم"، رئيس المؤسسة القومية للتعليم فى الولايات المتحدة، بقوله " إنه يجرى فى الوقت الحاضر تغيير جذرى فى بنية المجتمع بالتحول من الاعتماد على المصادر الطبيعة إلى مزيد من الاعتماد على المصادر البشرية، أى ثروة العقول" ومن ثم أصبحت الثورة الحقيقة الوحيدة فى التاريخ، ويقول ويل ديوارنت فى كتابه دروس التاريخ: " هى تنوير العقل وتحسين الشخصية ".

وكان من علامات اتجاه العالم إلى التركيز على الجانب العقلي والجانب الوجداني في تربية النشء تعليم الأخلاق، وتحويل القيم الأخلاقية بالفن التربوي إلى سلوكيات يمارسها الناشئة منذ طفولتهم المبكرة. وعلى الرغم من أن الأسرة أهم مؤسسات التربية الأخلاقية لأنها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية لأطفالنا، هى التى تحدد دلالات الأشياء والأحداث والأشخاص، وما هو ملائم وما هو غير ملائم من أنماط السلوك والدوافع، وتضفى قيمة أكبر على موضوعات أو سلوكيات معينة، وتدعم أنماط السلوك المرتبطة بها، إلا أن الأسرة جماعة قليلة العدد يرتبط أفرادها برابطة الدم، والعلاقة العاطفية تلعب فيها فكرة الواجب الأخلاقى دورا ضئيلا بالنسبة للقدر الذى يلعبه التعاطف والمشاعر المتدفقة، ومن ثم تميل إلى التهوين من بعض القواعد الأخلاقية، والتسامح فى بعضها الأخر، كما أن انتماء الطفل الوجدانى والروحى والاجتماعى لأسرته، من شأنه أن يقدم شخصية الطفل فى شخصية أسرته، فيصبح صورة لجميع خصائصها وصفاتها المميزة، وينشر عيوبها ويحاكى حركاتها، أضف إلى ذلك أن كثرة من الأسر تتبع أساليب مخطئة فى التنشئة الاجتماعية لأطفالها، كالحماية الزائدة، وتضارب أسلوب المعاملة، والتمييز فى المعاملة بين الذكور والإناث، والمغالاة فى المستويات الأخلاقية، مما يؤدى إلى تكوين أنماط سلوكية وأخلاقية غير مرغوبة.

الاتجاهات الحديثة فى تعليم وتعلم الأخلاق:

توضع أهداف المراحل التعليمية لتوجه المناهج والقائمين على تنفيذها للقيام بمسئولياتهم التربوية والتعليمية، ويشارك فى ذلك جميع العاملين فى النظام التعليمى، من واضعى

القرارات والسياسات، والإدرايين، والمعلمين والمواجهين، ومن يتولون المسئوليات الاجتماعية والنفسية، ومعهم أولياء الأمور والتلاميذ والطلاب أنفسهم.

وعند النظر إلى تحقيق الأهداف التربوية، والتى تهتم بتنمية الأخلاق والقيم، والسلوكيات الحميدة لدى التلاميذ والطلاب.. فإنه يمكن تحديد ثلاثة مداخل لتحقيقها: الأول، وهو التعليم غير المباشر، والذي يتم من خلال ما تحتويه المقررات الدراسية المختلفة من موضوعات يتعلم من خلالها التلميذ هذه السلوكيات والقيم الأخلاقية. أما المدخل الثانى، فهو ما يطلق عليه " المنهج المستتر Hidden Curriculum "، وهو ما يقدم للتلاميذ من معلومات وممارسة وسلوكيات بطريقة غير مباشرة، وغير مقصودة أحيانا، ودون أن يكون لذلك خطة محددة، أو محتوى أو مقرر منفصل. فالمعلم هنا ومعه المدير وكل العاملين هم القدوة، التى يتعلم منها التلاميذ الاهتمام بالمظهر، وأساليب التحدث والمعاملات مع الناس، والتصرفات فى المواقف المختلفة، ويتعلم الصواب والخطاء، والحلال والحرام، أى يتعلم القيم والأخلاق.

أما المدخل الثالث لتعليم الأخلاق والقيم، فهو يجمع بين المدخلين السابقين، ويضاف إليهما تخطيط مقرر مستقل، يخصص له زمن محدد فى الجدول الدراسى، يتفرغ فيها المعلم وتلاميذه لمناقشة هذه الأمور المهمة والحيوية، والتى ترتبط بتعليم وغرس القيم والأخلاق، وتوجيه التلاميذ الوجهة السليمة في هذا الاتجاه.

فلسفة مناهج الأخلاق ومصادر اشتقاقها:

مما لا شك فيه أن الأديان السماوية جميعا تدعو إلى الأخلاق القويمة، والسلوك الطيب، والعادات الحسنة، ولا يختلف ذلك عن المبادىء التربوية والتعليمية وأسس التنشئة الاجتماعية، فالكل يتفق على وجوب تربية الأبناء منذ نعومة أظفارهم على الأخلاق السليمة والسلوكيات الحميدة، ومبادىء التعامل الطيب فى الحياة. ويشترك فى تحمل هذه المسئولية كل من الأسرة، والمدرسة، والمجتمع.

وتتنوع المصادر التي يمكن من خلالها استقاء منظومة القيم والأخلاق، لتعليمها وإكسابها للأبناء، ومنها:

- ما أقرته الديانات والكتب السماوية ودعت إليه من أخلاق حميدة وقيم مرغوبة، وبخاصة فيما يتعلق بالجانب المعاملاتي، ويضاف إليه ما تم توارثه من قيم وأخلاقيات الأنبياء والرسل ومقولاتهم وسلوكياتهم.
- ما استقر عليه الوعي الشعبي من تقاليد وأعراف، وهي جملة الاتفاقات التي تتعارف عليها الغالبية العظمى من أفراد المجتمع، والتي تختزل الموروث وتضم إليه ما يستجد من سمات يفرضها النموذج الإيجابي للتطور الحضاري، ومن المعروف أن العربية لها أعراف وتقاليد عريقة في هذا الصدد، بعضها سجلته الآداب والفنون، مثل الحكمة والأمثال الفصيحة والشعبية، والمواعظ، والقصص التراثي والشعبي، والسير والمواويل، إضافة لما دعت إليه الأديان من تقاليد تم إرساؤها عبر قرون من الزمان......... ذلك جميعه يمثل مرتكزا ليس بالهين قياسا إلى كثير من الأمم غير العربية[11] التي لا تمتد مرتكزاتها الثقافية بشأن الأعراف والتقاليد إلى أكثر من ربع قرن من الزمان.
- ما أنتجته الفلسفة من فكر، وبخاصة فيما يتعلق بمبحث القيم، وهو مبحث أساسي من مباحث الفلسفة الثلاث (مبحث الوجود – مبحث المعرفة – مبحث القيم)، يهتم بدراسة الحق والخير والجمال، ويدرسها بالتبعية كل من علم المنطق وعلم الأخلاق وعلم الجمال، ويعد منجز نتاج هذه العلوم مجتمعة مصدرا مهما من مصادر استقاء القيم والأخلاق المطلوب إكسابها للمتعلمين.

أما عن أفضل الطرق لصياغة هذه القيم والأخلاقيات في المقررات التعليمية، فهي اعتماد مدخل التعلم النشط، أي برصدها وتصميمها في أنشطة تعليمية تعلمية عبر الدمج والتكامل مع كافة المواد الدراسية، وأيضا من خلال تصميمها في مواقف يتم تمريرها عبر المنهج الموازي غير الرسمي، أي من خلال الأنشطة المدرسية غير الصفية.

6. مع انتشار وسائط التعليم التقنية ووسائط التفاعل الاجتماعي والحراك المعرفي العالمي وأدوات ووسائل العالم الافتراضي تغيرت أشياء كثيرة في الحياة والتعليم،

---

[11] ـ الأعراف والتقاليد العربية معروفة عن العرب منذ العصور الجاهلية أي قبل الإسلام بما يقرب من مائتى عام، أي أنها الآن يزيد عمرها على 16 قرن من الزمان.

وأن الابناء اصبحت اهتماماتهم وسلوكياتهم منفصلة عن الواقع التقليدي للمجتمع:

- في ظل هذه التغيرات كيف ترى سلطة الدول في التأثير على طبيعة المحتوى الذي يتلقاه الطلبة خاصة حول مفاهيم القومية أو تعزيز الوطنية أو الحراك الاجتماعي والانتماء للمجتمع؟
- كيف ترى أثر ذلك على منظومات الوطنية والقيم الدينية والاجتماعية التي تسعى المدرسة لغرسها في نفوس الأبناء؟
- هل نحن أمام ارهاصات انسان الغد العالمي المنفصل عن واقعه والمرتبط بمصالحة ومن يوفرها له؟
- كيف ترى المستقبل في ذلك؟

تحديات عديدة تواجه البشرية اليوم، لعل أخطرها ما يواجه الإنسانية في المحافظة على إنسانيتها، فالمخاوف شديدة حيال ما يمكن أن يطرأ على البشر أنفسهم من تغيرات كيميائية سواء في كيمياء المخ أو المشاعر، نتيجة للدراسات التي تسعى لمحاولة التحكم في الطبائع البشرية، والخلايا العصبية، ومراكز المخ، وكريات الدم السالبة والموجبة، والهندسة الوراثية التي تنطلق من القناعة بإمكانية التدخل في أي جين وراثي، إنساني كان أم حيواني، أم نباتي، ولعل النتائج التي توصل إليها استنساخ البشر تشير إلى الإمكانات المتاحة أم علوم الجينات والهندسة الوراثية، وبخاصة في مجالات برمجة الإنسان وبرمجة الخلايا العصبية، مما دفع كثيرا من المفكرين لوصفها بمرحلة ما بعد الإنسانية Post humanity وصفا لفلسفتها التي تسعى بالإنسان لأن يكون آلة قابلة لتثبيت نظام أو إعادة تثبيته (مثل أجهزة المحمول، والكمبيوتر...)، ولتدخلها في تغيير الجينات الوراثية سعيا للتحسين في السمات الجسمانية والعقلية.

وهناك تحد آخر يواجه البشرية، هو اعتماد السوق العالمية للتجارة على صناعة المضامين الثقافية، وما يرتبط بها من إعلام وترفيه، والتأسيس لما أطلق عليه الثقافة العالمية الكونية التي تدفع العلم إلى محاولة إيجاد نمط ثقافي واحد، وقد تبدو المحاولة صعبة المنال في الوقت الحاضر، إلا أنها على المدى البعيد، وفي إطار انقسام العالم إلى شعوب تعولم

وتمتلك مفاتيح التكنولوجيا، وشعوب تتعولم ولا تمتلك سوى الاستقبال، في هذا الإطار قد يتحول صعب المنال إلى التحقق الفعلي.

يضاف إلى ذلك جميعه بزوغ الصراع الحضاري والثقافي بين الشرق المسلم والغرب المسيحي انطلاقا من فكر صدام الحضارات لفوكاياما، وما ترتب عليه من دعاوى الهيمنة وإحلال السلام العالمي المزعوم، والهيمنات الثقافية، والاختراق الثقافي، والعولمة الثقافية، وما يترتب عليها محاولات للمحو الثقافي بحجة إعاقتها للتطور الحضاري البشري، وهذا المحو سيتوجه بالطبع نحو شعوب العالم الثالث، أو لصالح ثقافة واحدة هي ثقافة الأقوى (الغرب).

أما على مستوى التعليم العربي، والثقافة العربية إجمالا، فإنها تنفرد بتحديات أكثر مما سبق، يمكن إجمالها في إشكاليات الرؤية والمصطلح والخلط المفاهيمي، وإشكاليات المنهج، والتنوع[12] غير الممنهج، وعدم القدرة على حل كثير من القضايا المصيرية التي استطاعت كثير من الشعوب التعامل معها والانتهاء منها، والخلوص والخلو لمواجهة مشكلات تمثل صميم الحياة، ومنها قضايا الدولة والدين، والعلم والدين، والأصالة والمعاصرة، ناهيا بالطبع عن الثنائيات الضدية التي طرحتها الحياة المعاصرة والتي تمثل تحديات معاصرة ومستقبلية للعالم أجمع، ومنها المحلية والعالمية، والهوية والعولمة، والمواجهة والالتحام، والنظام الإقليمي والنظام العالمي، وغيرها من القضايا التي لم تحل بعد.

ومن التحديات المستقبلية التي طرحتها التكنولوجيا وتتطلب وعيا ثقافيا لمواجهتها، ما يتعلق بقضايا التلوث، والتصحر، والجفاف، وتوقع الحروب المستقبلية حول قطرة ماء، والطاقة البديلة، وارتفاع درجات الحرارة، وغيرها من مشكلات البيئة المعاصرة والمستقبلية، والتي تعد قضايا جوهرية من بنية المعرفة العالمية وطرح مخاوفها، ومن ثم السعي الحثيث نحو دراستها، والبحث عن بدائل وحلول، تؤثر في اتخاذ قرارات استراتيجية حالية لصالح المستقبل، والأمر كله مرهون بالمعرفة ونتائج الدراسات والأبحاث البيئية.

ولاشك في هذا السياق أن البلدان العربية تمتلك مراكز وهيئات تعمل في مجال البيئة، ولاشك أن هذه المراكز والهيئات لديها من الدراسات والنتائج ما يحتاج إلى تحويله لمعرفة

[12] ـ هناك آراء ترى أن التنوع الثقافي ليس عيبا في ذاته، بل قد يكون ميزة، شريطة أن يتم نظمه في نسق أو مشروع يحوى بداخله ذلك التنوع، وهو أمر يحتاج لعمل مؤسسي دولي، وليس جهودا فردية.

انتاجية، وليست معرفة حبيسة أو غير مفعلة، مما يسمح للبلدان العربية الأخرى أن تفيد من نتائجها، ويتمكن الأفراد والهيئات والمؤسسات للتصدي لمشكلات البيئة المتعلقة بأي من هذه البلدان، وبخاصة مع النفايات النووية، ونفايات المصانع، وإلقاء المخلفات الكيميائية في المجاري المائية، وتكدس أكوام القمامة بالقرب من المناطق السكنية، والتلوث الناتج عن الاحتراق أو الناتج عن استخدام المبيدات الحشرية والزراعية وغيرها من المشكلات المتفاقمة يوما بعد يوم، والتي قد تنتج فقط عن عدم الوعي بأضرار هذه الممارسات، وتتطلب من التعليم التصدي لها بتدريس مفاهيمها واستثارة دافعية المتعلمين للبحث عن حلول وبدائل لها.

في ظل هذا كله فإن دور الدولة يتراجع فيما يتعلق بإمكانية السيطرة على المحتوى المعرفي الذي يمكن تقديمه للمتعلمين، فمهما حاولت الدولة بذل الجهود من أجل تمرير أفكار أو منع أخرى، فإن العالم الآن أصبح مفتوحا أكثر من اللازم، وتعددت مصادر الحصول على المعلومة والفكرة، وهو ما ينذر بالتأثير السلبي على منظومات القيم والأخلاق ومفاهيم الوطنية، ولا ننسى أن ذلك أحد أهداف العولمة، التي تسعى لمحو الهويات الفرعية على حساب الهوية الأم (بما في ذلك من استعادة لملامح الاستعمار في صورة جديدة)، وهو ما يقتضي من مؤسسات التربية المسارعة في إجراء البحوث حول هذه النوعية من المشكلات، والتفكير في المستقبل ومتغيراته ومخاطر محوه للهوية القومية وإعادة هيكلته لشخصية المتعلم من خلال وسائل الاتصال التي تستطيع التأثير فيه أكثر من تأثير المدرسة.

7. يتحدث الخبراء اليوم عن مجتمع المعرفة، ودوره في التقدم ويربطه البعض بالحريات أو بالإمكانيات الاقتصادية أو بالإرادة السياسية، أو بالنظم التعليمية بصفتك أحد خبراء التربية:

- ما هو مفهوم مجتمع المعرفة كما تراه؟
- كيف ترى الطريق إلى مجتمع المعرفة والادوات التي توصل اليه؟
- إلى أي مدى توصلنا سياساتنا التعليمية إلى تحقيق مجتمع المعرفة؟
- كيف ترى مستقبلنا المعرفي في ضوء هذا العالم المتغير؟

إن العولمة ومجتمع المعرفة، وما يرتبط بها من تحديات مستقبلية تشير إليها التطورات الهائلة في المعرفة والمعلوماتية والتكنولوجيا وعلاقتها بالمخ البشري والذكاء الاصطناعي

والتكنولوجيا دقيقة الصنع وتحكمها في الإنسان، وما يتجه إليه العالم بعامة نحو خطر يرى البعض أنه مقدم على هاوية، في حين يرى البعض أنه يسير في مساره الصحيح، وما نتج عن ذلك من ترسيخ لمفاهيم القوة وربطها بالمعرفة.

ولعل نظرة سريعة إلى أهم ما يتميز به العصر الذي نعيشه تكشف لنا هذا الواقع، ذلك أن الثورة المهيمنة على العالم الآن هي ثورة المعرفة والمعلومات التي فرضت على العالم أن يتسم بكونه عصر مجتمع المعرفة، حيث يتحول العالم إلى كوكب بيو- إلكتروني مترابط لاسلكياً، يخترق العقبات التي ظل العالم يدور في فلكها سنوات مثل الثقل والزمن والمسافة، فاستطاع أن يقوض هذه العقبات جميعها بالانتقال إلى الخفة والسرعة والانتقال، بمعنى أن التكنولوجيا الآن سمحت بإمكانية حمل موسوعات ضخمة ومئات الآلاف من الكتب على أقراص (مرنة أو صلبة) لا يزيد وزنها عن جرامات قليلة، وسمحت بإمكانية تكثيف واختزال الزمن عبر الوسائط المتعددة بسرعة تبلغ آلاف المرات كما كانت عليه سابقا، وسمحت بإمكانية قطع المسافات والانتقال عبر مئات الآلاف من الكيلومترات سواء الانتقال الجسدي عبر الطائرات والصواريخ الفضائية، أو الانتقال عبر الوسائط المتعددة لمشاهدة بقعة نائية في العالم أو التحدث عبر الكاميرا مع شخص في الجانب الآخر تماما من الكرة الأرضية.

إن التكنولوجيا فائقة الصغر والإنسان الآلي (بأشكاله ومفاهيمه المعاصرة التي تجاوزت مجرد شكل الروبوت) غدت هي المتحكمة في نظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية، والثقافية.

ويطرح مجتمع المعرفة بعدا مهما يتمثل في النواتج التي يمكن أن تترتب عليه – والتي بدأت بالفعل – والمتمثلة في مفهوم القوة الناتج عن امتلاك المعلومات والمعلوماتية والقدرة على توظيفها وصناعتها information making ، ذلك أن صناعة المعلومات هي التجارة الرائجة، وهي القوة ذاتها التي أصبحت الآن تتحكم في مقدرات الشعوب، وتعيد صياغة مفاهيم القوة في العالم، بحيث غدت الشعارات الدولية تستجيب لخدمة هذه المصالح، مثل شعار انتقال المال من أيدي القلة إلى المعرفة في أيدي الكثرة، وانتقال السلطة من مفهوم القوة البدنية إلى القوة العقلية، وصناعة الميديا، وإعادة تشكيل المتطلبات الأساسية للحياة متمثلة فيما أطلق عليه (Media literacy)، وتفكيك الشعوب من الداخل بأيدي أبنائها عن

بعد، وغيرها من الشعارات التي تكمن وراءها أهداف خفية تتنوع بين السياسية والتجارية والاقتصادية، وأحيانا المعرفية بمفهوم نشر العلم وتعلمه.

وقد عرف تقرير التنمية الإنسانية العربية 2003م " نحو إقامة مجتمع المعرفة" عرف مجتمع المعرفة على أنه " المجتمع الذي يقوم أساسا على نشر المعرفة وإنتاجها وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي: الاقتصاد والمجتمع المدني، والسياسة والحياة الخاصة، وصولا لترقية الحياة الإنسانية باطراد "[13].

ولعل نظرة سريعة إلى متغيرات المعلومات تكشف عن ذلك، وبخاصة فيما يتعلق بتضاعف حجم المعلومات، والإحصاءات التي تشير إلى أنه في كل ثانية تظهر معلومة جديدة في كل علم على الأقل إن لم تكن تزيد عن هذا الحد، وهو ما يطرح تساؤلاته في كافة مجالات ومناحي الحياة الثقافية، بدءا من التعليم، ومرورا بالصحة وعلوم الفلك والكون ومظاهر تطور الحياة، وتطور الإنسان ذاته، والمخ البشري والكشف عن أسراره، وإمكانات تطور العقل البشري بعامة .

وتكمن خطورة ذلك التسارع المطرد في كيفية القيام بدور ما في نقل المعرفة والوعي الثقافي للأجيال القادمة، فالثقافة والمعرفة لم تعد كما مختزنا من المعلومات التي تحتاج إلى تعليمها للأجيال القادمة، وإنما يتخطي الأمر تلك المرحلة، مثال ذلك التعليم، سواء قبل الجامعي أو الجامعي، ففي التعليم نحن نعلم الأسس والقواعد والنظريات والمعارف، ولكن في ظل التطور المطرد لتضاعف المعلومات والمعلوماتية، فإن التساؤل القائم حول ماذا نعلم، وما الذي يضمن ثبات ما يمكن أن نعلمه لمتعلم بعد عام ونصف فقط، فمتعلم الهندسة على سبيل المثال حين يتعلم نظرية ما، فكيف نضمن بقاء استخدام هذه النظرية بعد عام ونصف، وبالتالي كيف نضمن أن تكون نواتج التعلم صالحة للمنافسة العالمية بعد تخرج المتعلمين، هنا يجب البحث عن حلول أكثر فاعلية، وقد تكمن في تعليم كيفية التعلم، وفي تعليم الأنماط والنماذج والمهارات الأساسية، مثل نموذج حل المشكلات، ومهارات القيادة، ومهارات إدارة المعرفة (أي معرفة)، ومهارات الوعي بالذات، والعمل في فريق،

---

[13] ـ تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2003: نحو إقامة مجتمع المعرفة – برنامج الأمم المتحدة الإنمائي – الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي – ص39.

واستراتيجيات التعلم المختلفة........ إلخ من الثوابت التي لا تمثل معرفة، وإنما تمثل مداخل للمعرفة وأشكالا متنوعة للتعامل مع المعرفة.

ولا خلاف الآن على أن التكنولوجيا تمثل ركيزة أساسية من ركائز التعليم والثقافة عموما، إن لم تكن أحد أهم مكوناتها، وهو طرح ليس بالجديد على الوعي الغربي وأنماط تحول الثقافة لديه، فمنذ الأربعينيات من القرن العشرين كانت هناك دراسات غربية تتعامل مع الثقافة بوصفها نظاما، أي أنها تشكل منظومة (system) تنقسم بدورها إلى منظومات فرعية تندرج تحتها، ومنها دراسة وايت[14] وتقسيمه لمنظومة الثقافة إلى:

المنظومة التكنولوجية، والمنظومة الاجتماعية، والمنظومة الأيديولوجية، والمنظومة السلوكية.

وكل منظومة من هذه النظم تتشكل بدورها عبر عدد من الخلايا الفاعلة، فعلى سبيل المثال تتكون المنظومة التكنولوجية من الأدوات أو التجهيزات المادية (الجانب المادي الظاهر) ومن جانب خفي هو الأهم يتمثل في البرمجة والاستخدام الأمثل لهذه التكنولوجيا بحيث تتحول بها الثقافة إلى إنتاج، وليس مجرد استهلاك. أما بالنسبة للمنظومة الإيديولوجية فإنها بدورها تتكون من الأفكار والمعتقدات والمعارف، التي يتم التعبير عنا والتداول بها وإنتاجها في شكل ثقافة تطبيقية، وتتشابك هذه المنظومة بدورها من المنظومة التكنولوجية على نحو أو على آخر، وهكذا.

أصبح الشعار الذي تتبناه مجتمعات المعرفة هو انتقال المال من يد القلة إلى المعرفة في يد الكثرة، وأصبحت المعرفة والمعلوماتية هي الطريق الأول للقوة، وللتطور الاقتصادي، فكثير من الشعوب التي لم يكن لها ذكر عبر التاريخ أصبحت بفعل المعرفة والإنتاج التكنولوجي تمثل ثقلا اقتصاديا، وقوة تتطور يوما بعد يوم.

8. يتزايد أثر العولمة وتأثيرها على حياتنا، ويرى العديد من الخبراء أن العولمة بمفهومها الواسع وما تحمله من مفاهيم لتحرير الاقتصاد والمجتمع لازالت في مراحلها الاولى، وانها مع تناميها تساهم في تدمير دور العديد من المبادئ التربوية والاجتماعية وتجعل الإنسان ذو بعد مادي فقط:

[14] - وايت: علم الثقافة – نيويورك – 1949م.

- كيف ترى العولمة: هل هي نعمة أو نقمة على الانسان ومجتمعه؟
- ما هي أكثر الامور التي ترى العولمة أثرت بها بشكل أكبر في المجال التربوي؟
- كيف ترى المستقبل في مجال التربية وفق تغيرات العولمة؟
- هل من طريقة للتعامل الايجابي مع العولمة والاستفادة من فرصها؟

تعتبر العولمة بتطوراتها المعاصرة حلقة أولى من حلقات الصراع العالمي، فعلى الرغم من الإيجابيات الظاهرة فيما يتعلق بسرعة وسائل الاتصال والتطور الحضاري عموما، فإن للعولمة آثارها السلبية، إذ إنه ستظل هناك شعوب تعولم وشعوب تتعولم رغما عنها، كما أنها – أي العولمة- تزيد من معدلات الفقراء إلى مستوى أكثر فقرا، لصالح التكتلات الاقتصادية الكبرى، حيث عملت العولمة بالفعل على تغيير التفكير الاقتصادي والسياسي للعالم فأصبح الإنتاج الضخم للمعارف والمعلومات هو البديل عن الإنتاج الضخم للسلع المادية، وأصبحت المعارف والمعلومات هي الموارد الأساسية للعالم، وعلى أساسها يعاد ترتيب نسق القيم الاقتصادية والسياسية، لأنها نوع من الموارد يختلف جذرياً عن غيره من الموارد التي ألفتها البشرية على طول تاريخها الممتد...

لقد باتت تكنولوجيا المعلومات وما يرتبط بها من برمجيات أحد أهم دعائم التحولات الاقتصادية، ومن ثم يعد ما نراه الآن ثورة بدأت منذ بدايات التسعينات من القرن الماضي، مع تفكك الاتحاد السوفيتي، وانفجار ثورة الالكترونيات، والبدء في عمليات الخصخصة وتحرير السوق وإعادة الهيكلية الاقتصادية وقيام منظمة التجارة العالمية عام 1994م [15]، كما طرأت على العالم تحولات اقتصادية واضحة تمثلت في اندماج المبادلات التجارية وتنقل رؤوس الأموال، وتطور عوامل الإنتاج والسلع، بما في ذلك التكنولوجيات الحديثة على أنماط القيادة الاقتصادية والسياسية، والاقتصاديات القروية والوطنية والإقليمية في اقتصاد عالمي موحد بعد أن صار العالم سوقاً واحدة، بما أصبحت فيه التجارة العالمية تبدو وكأنها في نمو مطرد يستفيد منه الجميع بعد أن غدا العالم قرية كونية متشابهة النمو

---

[15] - يمكن العودة إلى: حازم الببلاوي: النظام الاقتصادي الدولي المعاصر (من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحرب الباردة) - سلسلة عالم المعرفة – ع 257- الكويت - مايو 2000 - ص 207

ومتلاحمة بجميع أجزائها، وخاصة بعد الدور الذي لعبته الأقمار الصناعية وشبكة الانترنت ومختلف أشكال ثورة الاتصالات الرقمية[16].

ولعل أهم المؤشرات التي يمكن رصدها في إطار التحولات الاقتصادية على المستوى العالمي، وهو ما يمكن أخذه بعين الاعتبار عند مناقشة قضايا التعليم، ما يلي:

- تراجع حجم الدولة كمؤسسة اقتصادية لمصلحة القطاع الخاص "الخصخصة "، وبالتالي ستتزايد خصخصة التعليم في مقابل التعليم الحكومي على نحو أكثر مما هو عليه الآن، ما لم تتمكن الحكومات من تحسين جودة خدماتها التعليمية.
- تنامي دور الشركات المتعددة الجنسيات، وعمليات الدمج المستمرة فيما بينها، وتحكمها في اقتصاد العالم[17]، وسيطرة عدد من هذه الشركات على جزء كبير من السوق العالمية، وتغير مفاهيم الاقتصاد حيث يتم إقرار نمط الاستثمار السريع الفوائد قصيرالأجل دون مراعاة للأخلاقيات أو المصالح العامة والتنمية المحلية، على حساب الاستثمار الطويل والمباشر، مما سيعمل على توسيع الدائرة، وفتح الباب على مصراعيه فيما يتعلق بعمليات غسيل الأموال الدولية وغيرها من العمليات غير المشروعة، وهنا ستواجه التربية تحديات أكثر مما تواجهه الآن بشأن ما يتم تعلمه في المؤسسات التعليمية وما تطرحه الحياة من معطيات، وبخاصة فيما يتعلق بتهديد منظومة القيم والأخلاق.
- تزايد الروابط الاقتصادية وتفكك الروابط السياسية، وبخاصة مع الشركات التي لم يعد لها مكان محدد، ولامسؤلين محددين وإنما مسئولين متعددي الجنسيات، كما لم

---

[16] - هانس- بيتر مارتين وهارلد شومان: فخ العولمة (الاعتداء على الديموقراطية والرفاهية)- ترجمة:عدنان عباس علي- مراجعة وتقديم: رمزي زكي- سلسلة عالم المعرفة– العدد238- الكويت- أكتوبر1998 - ص 11.

[17] - بلغ عدد هذه الشركات نحو 30 ألفا، وصل إجمالي أعمالها إلى أكثر من نصف الناتج العالمي القائم، وتقدر أصول هذه الشركات بنحو 92 تريليون دولار وعدد العاملين فيها بنحو 35 مليونا. واستنادا إلى تقارير البنك الدولي، فإن حجم أعمال خمس شركات رئيسية تجاوز في عام 1996 مجموع الناتج المحلي القائم لدول آسيا الجنوبية وأفريقيا جنوب الصحراء والدول الأكثر فقرا في العالم - صالح الرقب: العولمة (الأهداف والآثار الاقتصادية) – موقع صالح الرقب الإلكتروني: www.aliman.org.

يعد لها سياسات محددة، اللهم إلا تحقيق الربح على حساب أي شيء، وكل هذا ناتج من تأثير تكنولوجيا الاتصالات وظاهرة العولمة أو الكوكبية على الجوانب الاقتصادية والسياسية بشكل رئيسى، وهو ما سيؤثر سلبا على دور الدولة في تحقيق أهدافها التعليمية.

- التغير فى مفاهيم الحرب والإرهاب وثقافة السلام، فالمصالح الاقتصادية تسعى لتحقيق الأرباح، والتصدي لمشكلات المستقبل، ومن ثم أصبح الاقتصاد عاملا أساسيا في نشأة الحروب، أو افتعالها ضد البلدان التي تمتلك موارد على نحو ما، كما أصبح الاقتصاد هو العامل الأساسي في منح بعض البلدان حقوق الاحترام والولاء والخضوع لها ومراعاة مصالحها، وحماية أفرادها.... إن السلام أو الإرهاب لم يعودا في ظل هيمنة الاقتصاد خيارا استراتيجيا، وإنما أصبحا ناتجا عن القوة الاقتصادية بمفاهيمها المعاصرة... لقد زاد الإرهاب ونما، وأصبح يمثل تهديدًا فى هذه الظروف المتغيرة، وأصبح غير محصور بحدود جغرافية، بل يمثل تهديدًا جديدًا للمجتمع العالمى والمجتمعات المختلفة، وساعد على إنمائه بعض الأوضاع الاجتماعية السائدة مثل: الفقر، والبطالة، التى كانت منتشرة فى العقد الأخير من القرن العشرين، وهو ما دعا المنظمات الدولية إلى الدعوة للسلام، والعمل على نشر ثقافة السلام كركيزة أساسية للمجتمعات المعاصرة ومجتمع المعرفة، وظهرت كثير من الدراسات والبحوث والكتب التي ترصد لأثر الفقر والبطالة والحروب والإرهاب على التعليم وإعاقة مساره.

أما بشأن البحث عن طرائق للتعامل الإيجابي مع العولمة والاستفادة من فرصها، فهناك العديد من الاستراتيجيات التي يمكن للدول العربية أن تتبناها عبر مؤسساتها التربوية والثقافية، ومنها:

- تشجيع وبلورة الهويات الفرعية من خلال التأكيد على الهوية اللغوية والهوية الثقافية والعادات والتقاليد والارتقاء بها على نحو يجعل حاملها ممتلكا للشعور بالفخر في مقابل ما تعمل العولمة على تأكيده من محو الهويات الفرعية لصالح الكل الأكبر.
- الاهتمام بالتراث الثقافي والشعبي والفني للشعوب والبحث عن آليات لترويجه ونقله من مجرد كم وركام يتم تداوله على المستوى المحلي إلى كونه منتجا معلوماتيا يتم

نشره عالميا من خلال الوسائط التي توفرها العولمة بتطورها التكنولوجي والحضاري.

- استحداث فروع معرفية تهتم بالتطوير والبرمجة العربية (إنتاج برامج عربية بدلا من البرامج المعربة المتداولة) ونشرها عبر وسائط التكنولوجيا والمعلوماتية.
- الاهتمام ببرمجة اللغة العربية بدءا من تحويلها إلى حروف بدلا من وضعها الحالي في صورة رسوم (حيث يتعرف الحاسوب على حروف اللغة العربية بوصفها رسوما لا رموزا مثل اللغات الأخرى)، وهو ما سيسهم في إزالة العوائق أمام إمكانات تطوير هذه اللغة ومنتجها الثقافي عبر وسائط الاتصال.
- تحويل المعرفة العربية بتراثها وحاضرها إلى معلوماتية، وفرق كبير بين الركام المعرفي والإنتاج المعلوماتي، والأخير هو السلعة الأساسية التي تعتمدها العولمة.
- التفكير في بدائل لاقتصاديات المعرفة العربية من خلال تنمية عوامل الاقتصاد المعرفي وهي المعرفة الفنية والإبداع والذكاء والمعلومات، وذلك في مقابل الأرض، والعمالة، ورأس المال التي كانت هي العوامل الثلاثة الأساسية للإنتاج في الاقتصاد القديم، ومن المعروف –مثلا- أن 50 ٪ من نمو الإنتاجية في الاتحاد الأوروبي هو نتيجة مباشرة لاستخدام وإنتاج تكنولوجيا المعلومات.

9. يدرس الطلبة في الكليات التربوية مقررات عن التربية وعلم النفس وطرق التدريس والمناهج:

- إلى أي مدى تكفي هذه المواد في أعداد معلمين مهيئين علميا في التعليم؟
- كيف ترى كفاءة هذه المواد من ناحية المحتوى وعناصر المواد في إعداد معلمين يملكون قدرات مناسبة من التمكن التربوي والعلمي في التعليم؟
- هل هناك طرق أو أفكار لتطوير ذلك من خلال اضافة مواد او صياغة طرق للمواد جديدة أو آراء تطويرية أخرى؟
- كيف ترى الصورة كاملة في ذلك والرؤية المستقبلية فيها؟

تشير الدراسات المسحية السريعة إلى أن ما يدرسه الطلاب في كليات التربية في واقعنا العربي من مقررات تربوية غير كاف لإعداد وتهيئة المعلم على نحو يسمح له بتحقيق

متطلبات التربية المعاصرة، وذلك في جوانب عدة، منها: المناهج - طرق التدريس - أساليب التقويم - تعدد مصادر التعلم.

<u>أولا المناهج:</u> حيث يتم الاعتماد على شرح مكونات المنهج الرسمي الذي يتم تبنيه من قبل الحكومة ممثلة في وزارة التربية والتعليم، ويتم تطبيقه على كافة المتعلمين في المؤسسات التعليمية التابعة للدولة، على اختلاف البيئات وشرائحهم (ريف – حضر – سواحل – بوادي)، وتعد صناعة هذا النوع من المناهج أمرا غير هين، لتعدد الفئات المطبق عليهم من جهة، ولاشتراك فئات عدة في تنفيذه، ولتعليق آمال الأمة كلها عليه، ولتحكمه في تحقيق توجهات الأمة مجتمعة، وطموحاتها وهذا المفهوم الذي تتبناه كليات التربية في إعداد طلابها ليكونوا معلمين تواجهه جملة من التحديات مثل: تزايد حجم المعلومات في كل تخصص، والتماهي في الحدود بين التخصصات، مما جعله – المنهج الأساسي- غير قادر على مواجهة تبعات المستقبل على هذا النحو، وهو ما يقتضي معه أمام هذه التحديات وغيرها، أن تسعى التربية لكسر مفهوم المنهج الأساسي الموحد، ومن ثم البحث عن أنواع أخرى من المناهج قد تصاحب المنهج الأساسي، وربما تكون بديلة عنه، تداركا للسلبيات العديدة لهذا النوع من المناهج [18].

وفي الوطن العربي عادة ما تتشابه المناهج الأساسية الرسمية بين دولة وأخرى، ويتمثل هذا التشابه في بناها وهيكلتها وتصنيف موادها الدراسية، واعتمادها المواد المنفصلة مثلا، وأساليب تقييمها، واعتمادها أسلوب الامتحان التحريري، ونظم التدرج فيها من مرحلة إلى أخرى، ويكون الاختلاف بين دولة وأخرى في طبيعة محتوى المواد الدراسية خاصة المحتوى المعرفي، وأساليب عرضه، وفي بعض الأهداف الإجرائية على نحو محدود، اللهم إلا المناهج التي تعد من صميم الهوية، مثل مناهج التاريخ، والجغرافيا، على الرغم من تشابهها أيضا في البناء الهيكلي من منظور علم المناهج.

ولعل أكبر الانتقادات التي توجه إلى المنهج الأساسي، تتمثل في النظر إلى نواتجه بوصفها تعمل على تخريج نواتج تعليمية متشابهة في تكوينها العلمي والمهاري إن لم تكن متطابقة، ويتمثل الاختلاف فقط في درجات التحصيل، وأنه من ثم لا يعمل على التنوع

---

[18] - انظر: سهيلة محسن الفتلاوي: المنهاج التعليمي والتدريس الفاعل– دار الشروق– عمان – 2005م- ص 52.

الثقافي الذي غدا من الأهمية بمكان في ظل ما يكتنف العالم من تغير في مفاهيم العمل، وتنوع في مناحي المعرفة، وتغير في مفهومها وربطها بمفاهيم القوة والهيمنة الاقتصادية، إذ لم يعد التعليم فقط من أجل الإعداد للعمل، وإنما من أجل الإعداد للحياة، والإعداد للمستقبل بكل ما يمكن أن يطرأ عليه، ولعل ما تضمنه تقرير جاك ديلور عن دعائم التربية الأربع ما يعضد ذلك " تعلم لتعرف – تعلم لتعمل – تعلم لتكون – تعلم لتعيش مع الآخرين[19]".

ثانيا طرق التدريس: حيث يتم الاعتماد على تدريس طرائق تقليدية لا تتواكب واحتياجات المتعلم والتعلم المتمحور حول المتعلم، وإن كان هناك تعرض للاستراتيجيات الحديثة في التعليم ببعض الكليات فإنه يكون نظريا، ولا يتجاوزه إلى مستوى التطبيق والإنتاج، ومن المتعارف عليه لدى المتخصصين أن استراتيجيات التعلم الحديثة مثل التعلم النشط والتعلم الذاتي والتعلم التعاوني، وغيرها لا يمكن تعلمها من خلال دراستها نظريا، وأنه إن لم يمتلك المعلم الموهبة ومهارات التفكير الإبداعي والتفكير الاختراعي فإنه لن يستطيع تطبيق هذه الاستراتيجيات في مادته الدراسية عندما يتولى مسؤولية تعليم التلاميذ والطلاب.

ثالثا أساليب التقييم: حيث تشير الدراسات المسحية ودراسات تحليل المحتوى إلى أن غالبية كتب التقييم التربوي المتداولة في العالم العربي والمستخدمة في كليات التربية تبتعد كثيرا عن أساليب القياس والتقييم والتقويم المعاصرة، وهذا العنصر يرتبط لزوميا مع المناهج وطرق التدريس حيث لا يمكن تدريس مقررات تقليدية عن المناهج وطرق التدريس في حين تأتي أساليب التقويم متطورة والعكس صحيح، ولذا يتوجب على كليات التربية أن تعيد النظر في توصيف مقرراتها الدراسية بما فيها من تدريس لمقررات التقييم، وذلك في ظل التطور المتلاحق عالميا في عالم التربية ونظريات الذكاء والبرمجة اللغوية والعصبية، وغيرها من ملامح التطور.

رابعا تعدد مصادر التعلم: وتعد مصادر التعلم أحد مكونات المنهج التي يتم التأكيد على ضرورة تعددها وعدم اقتصارها على الكتاب المدرسي (كتاب المتعلم) كمصدر وحيد للتعلم، وإنما إضافة مصادر تعلم أخرى بعضها يكون مشتقا من البيئة وخاماتها المتاحة والبسيطة، وبعضها من خامات مصنعة، بعضها يتم إنتاجه في أثناء الموقف التدريسي،

---

[19] - جاك ديلور وآخرون: التعلم ذلك الكنز المكنون – تقرير اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن الحادي والعشرين – اليونسكو 1996.

وبعضها الآخر سابقة التجهيز يتم الاستعانة بها على تحقيق خبرات تعليمية، ويعاد استخدامها لأكثر من مرة، وفي مواقف تعليمية مختلفة ومواد دراسية متنوعة، وهو ما يتطلب من كليات التربية استحداث قسم كامل يتولى مسؤولية تدريس وإكساب مهارات تصميم وبناء مراكز مصادر التعلم وما يمكن أن تشمله من محتويات تبعا لاحتياجات الأهداف التعليمية والتخصص.

وتتنوع المصادر التعليمية التي تحتاج لتدريس مهاراتها وكيفية استخدامها في كليات التربية، ومنها:

- المواد التعليمية المطبوعة: الكتب – النشرات – الدوريات – الكتيبات – القصص – المجلات)
- الوسائل التعليمية: الرسومات– الخرائط– المصورات– المطويات – الشفافيات والشرائح –الألعاب التعليمية المجسمة – شرائط التسجيل – شرائط الفيديو.
- المصادر التكنولوجية الإلكترونية (أقراص مدمجة CD,s، وفيديو رقمي، وبرمجيات مالتيميديا، واستخدام للإنترنت).

10. هناك اتجاه واضح بين خبراء التعليم يرى أن أهم أسباب مشكلات تعليمنا مؤداه أن أساليبنا التعليمية تعتمد على الحفظ والتلقين وليس علي تنمية المهارات، وأن هناك اهتماما بالكم على حساب الكيف مع قلة الاهتمام بالجودة، لذا فالمستوى التعليمي للطلبة منخفض جدا:

- بصفتك أحد خبراء التربية ما مدى مصداقية هذا القول؟
- كيف ترى محتوى وطبيعة المقررات التي تقدمها المدارس للطلبة؟
- ما هي الحلول التي تراها في هذا المجال؟
- ما هي أساليب التعليم التي تراها أنسب لنحصل على تعليم يقدم لنا مخرجات تعليمية جيدة؟

القول بأن أهم أسباب مشكلات تعليمنا مؤداه أن أساليبنا التعليمية تعتمد على الحفظ والتلقين وليس علي تنمية المهارات، وأن هناك اهتماما بالكم على حساب الكيف مع قلة الاهتمام بالجودة، هو قول صحيح ينطبق على مؤسسات التربية في الوطن العربي، فالحفظ

والتلقين مهم فيما يتعلق بالمهارات الأساسية للمادة التعليمية، مثلا حفظ حروف وكلمات اللغة للتمكن من استخدامها، وحفظ قوانين الفيزياء والمعادلات الكيميائية للتمكن من تطبيقها، وهكذا، غير أن تجاوز الحفظ والتلقين إلى ما هو أكثر من ذلك يقضى على أهم ما يجب أن تقوم التربية به، وهو إعداد الشخصية القادرة على التعامل مع المعرفة لإنتاجها، وليس لإعادة قولها، أي الشخصية القادرة على الإبداع وليست القادرة على تطبيق ما تعلمته حرفيا.

أما عن محتوى وطبيعة المقررات التي تقدمها المدارس للطلاب فهي في حاجة إلى مزيد من تبني مداخل التعلم النشط في صياغتها، أي التعلم المتمحور حول المتعلم، والمنطلق من ميوله ورغباته (وهذه يمكن تصنيفها إلى أنماط قليلة العدد تبعا للذكاءات المتعددة وكيفية تنميتها) والمؤكد لشخصيته، وذلك كله لتحقيق أهداف التعلم كما تشير إليها المعايير الدولية للتعليم، والتي تحدد مستويات لنواتج التعلم لا يمكن قبول ما هو أدنى منها، وهو ما يتطلب إعادة صياغة هذه المقررات ومن ثم إعادة تأهيل المعلمين من خلال التدريب والتنمية المهنية المستديمة.

أما عن أساليب التعليم الأنسب للحصول على مخرجات تعليمية جيدة، فهي عديدة، أهمها اعتماد التدريس المبدع من خلال تبني استراتيجيات وطرق التدريس التي تمنح المتعلم دورا فاعلا في عمليات التعلم (التعلم الذاتي – التعلم النشط – التعلم التعاوني – لعب الأدوار – تعلم الأقران، وغيرها.....)، وما تقتضيه هذه الاستراتيجيات والطرق من تنظيم وتخطيط مسبق للموقف التعليمي التعلمي، ومن تحقيق الدافعية الذاتية نحو التعلم، ومن إعطاء المتعلمين المسؤولية لتقرير ماذا يتعلموا، وكيف يتعلموا، وكيف يقيمون أنفسهم فيما تعلموه. [20]

[20] - يمكن العودة في ذلك إلى دراسات عديدة بحثت الإبداع والتعلم، منها:

- صفاء الأعسر: تعليم من أجل التفكير – دار قباء – القاهرة – 1998م.
- محمود منسي: التعليم الأساسي وإبداع التلاميذ- دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – مصر – 1993م.
- زين العابدين درويش: تنمية الإبداع، منهج وتطبيقه – دار المعارف – القاهرة – 1983م.

كما يرتبط التدريس المبدع بمراعاة خصائص المتعلمين، والانطلاق من ذكاءاتهم وما تقتضيه من تنظيم المواقف التعليمية التعلمية حولهم انطلاقا من خبراتهم وميولهم، وتمحورا حولها، وبناء عليها، وتنمية لها.

كما يرتبط – أيضا – بسمات خاصة بالمعلم من أهمها الطلاقة والمرونة والأصالة، التي هي سمات التفكير الإبداعي بعامة، وتعني الطلاقة القدرة على إنتاج أفكار عديدة بسهولة ويسر، والمرونة تنحو إلى عدم التوجه نحو رأي واحد والإصرار عليه، أو الالتزام الحرفي بالنموذج المعطى، وإنما تكييفه بما يتناسب والظروف والمستجدات، أما الأصالة فتعني أن كل الحلول والأفكار التي تم التوصل إليها إنما تعود في إبداعها إلى الناطق بها، وليس إلى آخرين، أي التعبير فعلا عن النفس، والإنتاج الحقيقي من النفس وليس الاستعارة من آخرين.

ويعتمد التدريس المبدع في أساسه على مهارات الاتصال والتواصل، والعلاقة الإنسانية بين المعلم والمتعلم، تلك العلاقة التي تهيمن عليها مفاهيم الود والمحبة والتقدير، ويتحول فيها دور المعلم من الملقن والموصل إلى دور المبدع والداعم لعمليات التعلم.

إن عمليات الاتصال والتواصل هي الأساس في كل موقف تعليمي تعلمي، وهي الأساس للنجاح في الحياة بعامة، ويرى علماء النفس أن الإنسان عموما في حالة اتصال وتواصل دائمين، وأن الاتصال يصل عن طريق اللاشعور إلى أكثر من 90%، في حين تزيد النسبة عن ذلك في حالة الشعور.

ولا ينفصل التدريس التفاعلي عن سياق الإبداع، لأن التفاعل هو عملية ديناميكية بين قوتين متكافئتين ليس في المقدار، ولكن في الجهد المبذول، أي أنه اندماج على نحو خاص، يشترك فيه الطرفان بانتباه ووعي من أجل تحقيق أهداف واحدة هي التعلم، ومن ثم فإن عملية التفاعل تقتضي نقل مسؤولية التعلم إلى المتعلم، أي تحول دور المعلم من الناقل للمعرفة إلى دفع المتعلم للتعلم، وتخطيط وتنظيم التعليم والتعلم، وهو ما يتأتى على نحو ما من خلال الاستراتيجيات التدريسية الحديثة وأهمية إكسابها للمعلمين، ومنها التعلم النشط والتعلم التعاوني، والتعلم الذاتي، وغيرها من الاستراتيجيات والطرق.

لقد أثبتت الدراسات والبحوث أن المخ البشري يشرد، ولا يستطيع التركيز في موضوع ما إلا لفترة زمنية قصيرة[21] لا تتجاوز العشرين دقيقة على أقصى تقدير، وهو ما يحتاج في عمليات التعليم والتعلم إلى اكتساب مهارات التفاعل والتدريس التفاعلي لإعادة المتعلمين من شرودهم العقلي، وإعادتهم إلى التركيز مرة أخرى، وهو ما تحققه استراتيجيات التدريس بما تصنعه من مواقف تعليمية تعلمية ينهمك فيها المتعلم في العمل (أنا أعمل فأنا أتعلم) مما يجعل هه النسبة تصل لمستويات أعلى مما يمكن توقعه بكثير، والدليل على ذلك جلوس الإنسان إلى لعبة إلكترونية مثلا على الكمبيوتر، فإنه يمكن أن يقضي ساعات طوال دون أن يشعر بالعالم حوله.

11. أصبح الانترنت ووسائطه وتقنيات التواصل المرتبطة به أحد مصادر التعليم والثقافة والترفيه، سواء بالتواصل أو كمصدر للمعلومات بين الطلبة مع بعضهم أو مع الأساتذة:

- ـ كيف ترى أثر ذلك على منظومات التربية والتعليم بشكل عام؟
- ما هي في نظرك الآثار المتوقعة للإنترنت والتقنيات المرتبطة به على الأجيال القادمة في المجال التعليمي؟
- هل ترى أن الاستخدام الواسع للتقنيات سيؤدي الى التغيير في ادوار المدرسة ومناهجها؟ وما هي أوجه هذا التغيير ان وجد؟
- ما أفضل سبل التعامل مع هذه التغيرات تربويا وتعليميا؟

تعد التكنولوجيا والإنترنت من المستجدات الحديثة التي طرأت على التربية، إذ ساعدها على الانتشار والهيمنة سطوة تطبيقات وأدوات التكنولوجيا وتحكمها في مجريات الحياة، إن تكنولوجيا التعليم هي الجانب الإجرائي والمجال العملي الذي يتم من خلاله تطبيق الأفكار والمبادئ، أي أنها المعرفة الناتجة عن تطبيق علم التعليم والتعلم في الواقع من خلال الأدوات والتطبيقات التكنولوجية التي يتم تطويرها على نحو مستمر، وكما تعرفها بعض الأدبيات التربوية بأنها: عملية متكاملة تشمل الناس

---

[21] ـ تقاس هذه الفترة حتى سن الثامنة عشر بعدد سنوات عمر الإنسان مضافا إليها العدد (3)، فالمتعلم الذي عمره 16 عاما يشرد عقله بعد 19 دقيقة باحتساب 16(عمره) + 3= 19، في حين تصل نسبة التركيز عند الكبار إلى (20) دقيقة، بعدها يبدأ العقل في الشرود.

والطرق والأفكار والآلات والمؤسسات التعليمية بغرض تحليل المشكلات وتطبيق الحلول وتقييم الحلول في كل وأي مجال يتعلق بتعلم الإنسان. وتشمل هذه الإمكانيات وجود نظام إداري في المؤسسة التعليمية متعاون ومتفاهم بشرط أن ينعكس بالدرجة الأولى على المتعلم.

وترتبط تكنولوجيا التعليم ارتباطا وثيقا بالتعلم الإلكتروني E-learning**بوصفه** أحد التطبيقات التربوية لتكنولوجيا التربية بعامة. وهو شكل من أشكال التعلم غير النمطي الذي يتم عبر شبكات الإنترنت، معتمدا على التعلم الذاتي، والتقويم الذاتي، والمشاركة الفاعلة مع الآخرين.

ونظرا لأن التعلم الإلكتروني لا يمكن التحكم في نواتجه، إذ غالبا ما يمارسه المتعلم في غيبة من المراقبة، ولو كان يحصل على وقت من خطة الدراسة اليومية تحت مراقبة المعلم أو المشرف المسؤول، فإن بقية الوقت الذي يحياه مع شبكات الإنترنت بمفرده أطول وأكبر من أن يتم التحكم فيها، وبخاصة مع ميل المتعلمين بعامة في سنوات التعلم للاكتشاف والمغامرة والبحث وراء المجهول، نظرا لهذا كله فإن إمكانات تقويم التعلم الإلكتروني في نواتجه (المخرجات) قد تبدو ضربا من المستحيل اللهم إلا من خلال الاختبارات التحصيلية المرتبطة بالعمليات الإثرائية للمنهج أول لتطبيقاته المرتبطة بالتكنولوجيا، إلا أن ما يمكن قياسه والتحكم فيه هو المدخلات قبل وصولها إلى المتعلم، أي أثناء صياغتها لتصبح جاهزة على صفحات النت، وهو ما يمكن قياسه من خلال أدوات عدة مثل الاستبيانات واستطلاعات الرأي وبطاقات تحليل المحتوى.

أما على مستوى الآثار المتوقعة للإنترنت والتقنيات المرتبطة به على الأجيال القادمة في المجال التعليمي، فإن الدراسات المستقبلية تشير إلى أن هذه الأجيال ستتبنى في حياتها مفهوم الأون لاين، أي الاتصال الدائم بشبكة الإنترنت طوال الوقت عبر الحاسوب المحمول والآي باد والتاب والهاتف المحمول، واستخدامه في إدارة كافة تفاصيل الحياة بما فيها التعليم والتعلم والعمل والبحث حتى عن مكان لقضاء العطلة، ومن ثم ستبحث هذه الأجيال عن بدائل معاصرة في مجال التعليم، وسترتبطها بهذه التقنيات، ولعل مطالعة سريعة لمواقع مشاركات الأطفال والشباب على مواقع الإنترنت تكشف عن اختلاف طرائق تفكيرهم، واعتمادهم على التكنولوجيا على نحو أساسي قياسا إلى الأجيال السابقة عليهم.

وسوف يشهد المستقبل استخداما أوسع للتقنيات سيؤدي إلى تغير أدوار المدرسة ومناهجها، على النحو الذي بدأت ملامحه في الظهور، وسوف تتعدد أوجه هذا التغير، مثل:

- التعلم الإلكتروني، الذي يعتمد على الإنترنت كلية.
- الأكاديميات التكنولوجية المتخصصة، والتي سيتمكن الطلاب أنفسهم من تصميمها وتنويع وتعديد مصادر التعلم عليها، مثل تصميم أكاديمية العلوم، وأخرى للرياضيات، وثالثة للغات، وهكذا.
- الفصول الذكية، التي ستعتمد على الوسائط المتعددة والألياف الزجاجية والبطاقات الإلكترونية الذكية، وهو ما بدأ يظهر واضحا في مدارس اليابان وبخاصة في تدريس العلوم والرياضيات.

وتعد أفضل سبل التعامل مع هذه التغيرات تربويا وتعليميا، هي السعي نحو التحول التكنولوجي في كافة عناصر منظومة المؤسسة التعليمية، بدءا من اعتماد تطبيقات تكنولوجيا التعليم في المستقبل مثلما يحدث في اليابان، التي تدير من خلالها وزارة التربية بما تحويه من 3.1 مليون معلم يقومون بالتدريس لحوالي 27 مليون طالب في 66.000 مدرسة، استطاعت من خلالها أن تصل بنسبة الأمية إلى ما لا يتجاوز (0.7%)، كما يحصل الطفل الياباني على نتائج عالية في الاختبارات الدولية التي تقيس القدرات في الرياضيات والعلوم أكثر من الطفل الأمريكي والبريطاني والفرنسي وغيرهم من الجنسيات الأخرى .أما طالب المرحلة الثانوية البالغ من العمر 14 عاماً فيكون قد تعرض لتعليم لم يتعرض له طالب أمريكي إلا إذا بلغ من العمر 17 أو 18 عاماً، كما تتقدم اليابان على الصعيد العالمي في نسبة العلماء والمهندسين (60.000 لكل مليون نسمة)، وينخرط نحو (800.000) ياباني في مراكز الأبحاث والتطوير، وهذا العدد تجاوز ما لدى بريطانيا وألمانيا وفرنسا مجتمعة معاً.

كذلك تفعيل دور «مركز تقنيات التعليم» عن طريق وضع الكفاءات المؤهلة لإدارة أهم شريان يغذي الطلاب بالمعرفة.

وإنشاء التليفزيون التعليمي الذي يعتمد الوسائط المتعددة بدلا عن طرائق الشرح التقليدية التي تقدمها البرامج التعليمية في بعض الدول.

12. زاد الاهتمام مؤخرا بالتدريب ودوره في تطوير مهارات القطاعات التعليمية:

- الى أي مدى ترى جدوى الاستفادة من التدريب في تطوير التعليم سواء هياكل المؤسسات التعليمية أو الكوادر الادارية والتعليمية؟
- إلى أي مدى ترى التدريب وسيلة في حل المشاكل التعليمية سواء في القادة أو الافراد او المعلمين؟
- ما السبل للاستفادة الفعالة من التدريب في ذلك؟
- ما هي أفضل الوسائل–غير التدريب- يمكن تطبيقها لتطوير العملية التدريبية في دولنا؟

لم يعد كافيا في كل القائمين على التعليم مجرد التنفيذ الجيد، وإنما أصبح التركيز على الإتقان، والجودة الشاملة، والمحاسبية، والمعيارية، والتقييس، وما إليها من مفاهيم طرحتها التحولات في أدوار القائمين على التعليم، ومنها تحول دول المدير من الإدارة إلى القيادة، وتحول أدوار المعلم من تبليغ الرسالة إلى التخطيط والتأمل والتفكير والإبداع، والتنظيم وتيسير عمليات التعلم، بل أصبحت المدرسة كمؤسسة تربوية ينظر إليها في إطار الجودة الشاملة، وفي ضوء توافر الرؤية والرسالة، وليس فقط في إطار قيامها بدورها التقليدي في تبليغ رسائل تعليمية مرتبطة بالمقررات الدراسية.

ومن جهة أخرى، فإنه لاخلاف الآن على أن كافة مناحي الحياة تخضع للتطور المطرد والتقدم المذهل في المجالات العلمية، والمعلوماتية، والأدائية، مما يعكس أثره على مستويات الأداء المطلوبة، وعلى كيفية تحقيق هذا الأداء، بمعنى أنه إن كان معلم الماضي يكتفي بما درسه في سنوات الإعداد التعليمية، وتكون مهتمه في الحياة هي نقل ما تعلمه إلى تلاميذه، فإن متعلم اليوم لايستطيع أن ينقل إلى المتعلمين ما تعلمه بالأمس القريب، نظرا لخضوع ما تعلمه ذاته للتطور وربما لتضاعف حجمه المعلوماتي، والأمر على هذه الشاكلة ليس فقط في العلوم التطبيقية، وإنما في العلوم الإنسانية أيضا.

ومن جهة ثالثة، فإن مقاييس المعايير العالمية ومتطلباتها في المعلم ذاتها قد تطورت، وأصبح التعليم مهنة، شأنها شأن المهن الأخرى التي تقتضي حدا أدنى من الكفاف ومن المهنية الخاصة بالمهنة، واقتضت مهنية المعلم مقاييس تكاد تكون دولية – وهي بالفعل

كذلك – ترتبط بالمهارات الأساسية التي يجب توفرها في المعلم، والأنشطة التي يجب أن يمارسها، والقدرات التي يجب أن يمتلكها، وهي جميعا متطورة على نحو مطرد، ترتبط في سياقها العام بالجودة الشاملة في الكوادر البشرية.

وهذه الأمور مجتمعة، المرتبط منها بالتطور المعلوماتي، والمرتبط بأدوار المعلم، والمرتبط بمهنية مهنة التعليم، تقتضي جميعها التنمية المهنية المستديمة، التي تتأتي من خلال التدريب، والتدريب المستمر، والتدريب دون توقف.

والتدريب كما تعرفه الأدبيات، هو عملية تعديل إيجابي في سلوكيات الأفراد المهنية والعملية والوظيفية، بهدف إكساب المعارف والمهارات والخبرات الجديدة والمتجددة.

وترى بعض الأدبيات أن التدريب التربوي في أثناء الخدمة ينطلق من مرتكزات ثلاث، يتعلق أولها بالعلاج، أي تصحيح الأخطاء التي قد يكون مردها التكون الأساسي العلمي والعملي، أو التطور المطرد في التربية، ويتعلق ثانيها بإكساب المهارات الأساسية والقدرة على تحليل المواقف الخاصة بالمهنة، مثل إكساب المعلم القدرة على تحليل الموقف التدريسي وما يحدث فيه من تفاعلات وسلوكات، ويتعلق ثالثها بإكساب مفاهيم تتعلق بالدافعية والإبداع والتمكين والانطلاق، مثل إكساب المعلم هذه المهارات ليتعامل مع المواقف التعليمية بأفق مفتوح وقدرات إبداعية خلاقة.

ولعل المراجعة السريعة لقضايا التنمية المهنية في سجلات المؤتمرات العالمية والملتقيات الفكرية تكشف لنا عن أهمية وخطورة التنمية المهنية ودورها في الاستمرار والإتقان والجودة الشاملة، إلى الدرجة التي جعلت اللجنة الدولية لتطوير التعليم تؤكد في أكثر من موضع على أنه يجب أن تكون التربية المستديمة هي الحل الأمثل للسياسات التعليمية خلال السنوات المقبلة سواء في الدول المتقدمة أو النامية.

التنمية المهنية للمعلم:

على الرغم من التوجه نحو التعلم الذاتي، وكل مداخل واستراتيجيات التعلم المتحمورة حول المتعلم، إلا أن دور المعلم سيبقى هو الأهم في إحداث التعلم، وإلا كما يعبر البعض فليبق المتعلمون في منازلهم، ومن ثم فإن الاهتمام بالمعلم وتنميته مهنيا أمر لا خلاف عليه، ويمكن تحديد مسارات التنمية المهنية للمعلم فيما يلي:

- رفع المستوى في المادة العلمية، وما يستجد عليها من معارف ومعلومات.

- التزويد بالأساليب الحديثة في كل ما يتعلق بالممارسات الصفية داخل حجرة الدراسة، وما يرتبط بها من مشكلات وتقديم الحلول لها.
- التدريب على استخدام استراتيجيات حديثة في التدريس، وتصميم المواقف التعليمية باستخدامها، وما يقتضيها من أساليب التقويم الملائمة.
- رفع كفاية المعلم الإنتاجية، بتقديم أساليب متنوعة لتأدية العمل على نحو أفضل، وبجهد أقل.
- إكساب مهارات جديدة، مثل مهارات استخدام الوسائل التكنولوجية، وإعداد نماذج تطبيقية لدروس وأنشطة باستخدام البرمجة، وغيرها من المهارات.

التنمية المهنية للهيئات الإدارية الإشرافية:

بما تشمله من موجهين ومشرفين ومديري مدارس، وهم عناصر بشرية في إمكانها أن تصنع تعليما وتعلما يفوقان المتوقع، وفي إمكانهما إعاقة أي برامج تطويرية يقوم بها المعلم على مستوى ذاته أو على مستوى الآخرين، ومن ثم تبدو أهمية التنمية المهنية لهذه الفئة على نحو متزامن مع برامج التنمية التي يخضع لها المعلمون لئلا يحدث التعارض الذي يؤدي إلى الإمكان الثاني (الإعاقة).

وتعد أفضل الوسائل – غير التدريب – التي يمكن تطبيقها لتطوير أداء وقدرة العاملين في المؤسسات التربوية، هي:

- إنشاء الأكاديميات المتخصصة عبر مواقع الإنترنت، والتي يمكنها أن تضم برامج تدريبية في كافة المناحي والمجالات، ومنتديات فكرية لطرح القضايا المهمة وإحداث التواصل بين المعنيين وأقرانهم داخل الدولة، وخارجها مع أقرانهم في الدول الأخرى، وتحوي هذه الأكاديميات كذلك مراكز لمصادر التعلم تحوي البحوث والدراسات والكتب ذات العلاقة.
- اعتماد نظم حديثة للترقي تستدعي من العاملين في مجال التعليم إحداث التنمية المهنية المستديمة، مثل اعتماد معايير دولية، أو مقاييس تقتضي من التربوي البحث الذاتي والتدريب الذاتية والتنمية الذاتية.